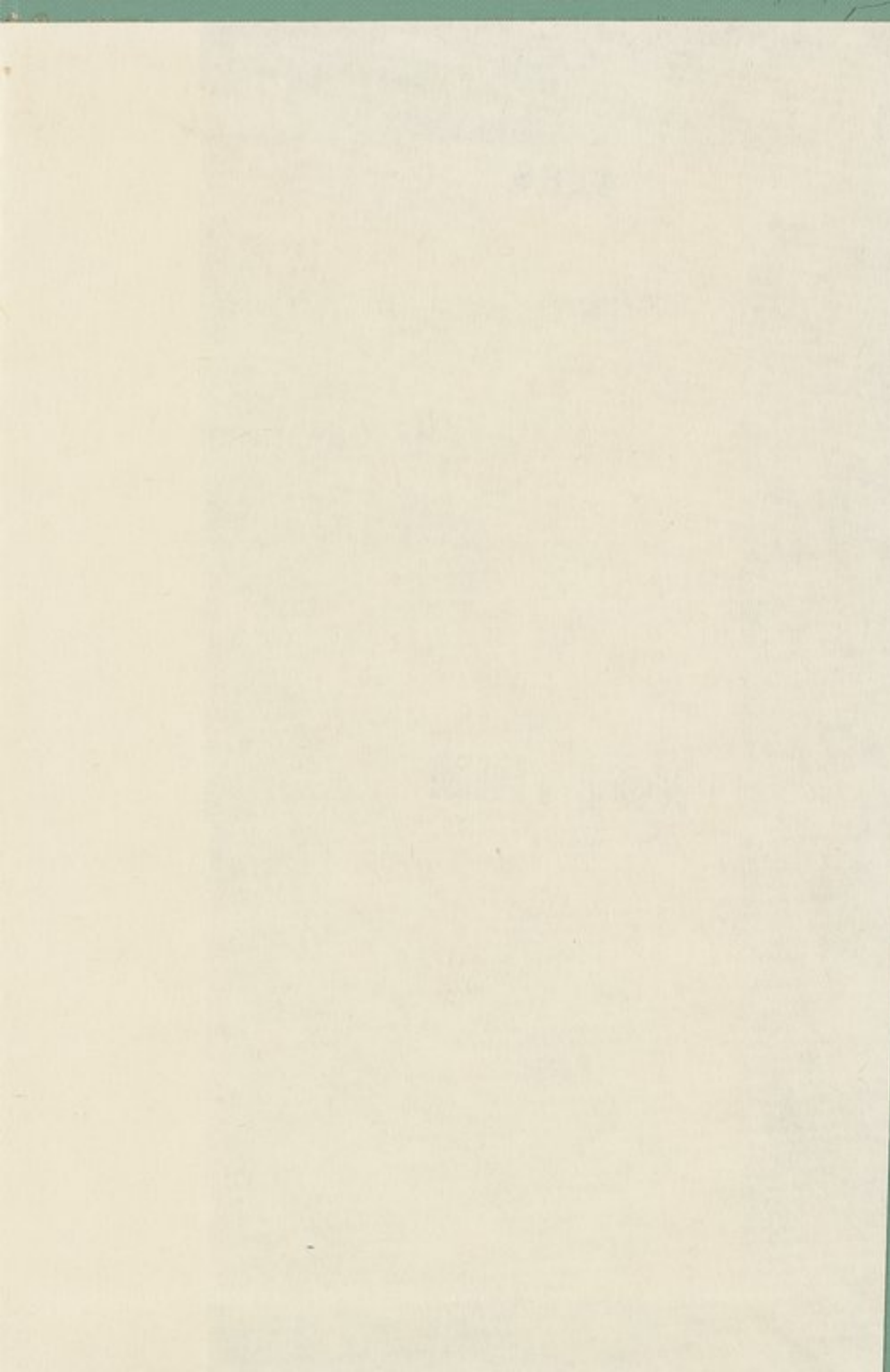






Princeton University Library



32101 075912244

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

DUE JUN 15 1998

A black rectangular stamp with a grainy, textured appearance, partially overlapping the red date stamp.

دستور بقسكى
ترجمه صوفى عبدالله



المساكين



نسخ ۱۰۰ فروش



Dostoyevsky

دستوفسکی

المساکین

ترجمة صوفي عبد الله

Ex Libris

J. Heyworth-Dunne
D. Lit. (London)

Nº 9943





PG3327

, A7B4

1952

مقدمة المعربة

قارنا ما قرأ الانسان فى قصص المشرق والمغرب ، فى القديم والحديث . وايا ما كان رايه فى مراتب الفنون وفى مكان القصة من دولة الادب الرفيع ، فان نتاج عبقرية « فدور دستويفسكى » من القصص ، ومن القصص الطويل على وجه الخصوص ، سيبقى الى آخر الزمان ذخرا من ائمن ما تعتد به الآداب العالمية على اطلاقها

بيت الموتى ..

الجريمة والعقاب

الاخوة كرامازوف

قليل من كثير عرفه العالم لقلم ذلك الكاتب الروسى النابغة ، الذى سما بأدب القصة الى افق يساوى عظمة شكسبير الخالقة فى دنيا الشعر .

فاذا قيل دستويفسكى ، قيل فخر الانسانية وذخرها جمعاء ، ولا يأتى ذكر وطنه روسيا الا بعد ذلك النسب المام . ولكن الرجل عبقرية روسية بقدر ما فيه من عبقرية انسانية شاملة ، لان عناصر تكوين امته مكتملة فيه كل الاكتمال ، وفى شخوص رواياته صورة صادقة لذلك الشعب بتوفزه العصبى وتحفزه وعمق انفعالاته واجتماع النقائص فى طبيعته الحية .

فيصدق فى وصف كاتبنا انه اعظم كتاب القصة الطويلة فى آداب العالم المعروفة غير منازع .. كما يصدق فى وصفه انه قمة شامخة بين اسماق القمم الشوامخ التى تنازعت التبريز والتفوق فى وطنه وفى زمنه .

وناهيك ببلد اجتمع له من ابنائه فى جيل واحد امثال دستويفسكى وتولستوى وتورجنيف وتشيفخوف وجوجول

وجوركى واوبلوموف ... وهى نخبة كريمة ، يكفى واحد منها
لاعتزاز امة بأسرها فى أمد طويل ، فكيف وقد اجتمعت لامة واحدة ،
وفى جيل واحد ؟ ..

انه اذن ثوران البركان ، او تحول محور الارض عن مكانه
المكين فى آفاق الفضاء ، او ما هو لاحق بذلك من ظواهر الطبيعة
التى ترجع اسبابها الى مجهولات عميقة محجبة بالغوامض
والاسرار ، وتؤذن عواقبها بتغير حاسم فى معالم الحياة ...
فظهور هذه الشمس فى سماء روسيا كان خارقة من تلك
الخوارق ، ولا مرأى ، فكانهم جنى الخرافة الذى اطلقه الصياد من
القمقم ، فلم تفلح فى رده اليه الرقى والتعاويد .

اما القمقم فكان « الجهل » واما القفل الذى كان يختم عليه
اجيالاً بعد اجيال فهو « الرجعية » . واما الجنى فهو « حرية
الفكر والضمير » . واما الصياد الذى فتح القمقم فى غير تدبر لما
فى داخله ، فهو مؤسس روسيا الحديثة ، « القيصر بطرس الاكبر »
فقد افتتن هذا القيصر بحضارة الغرب ، فذهب يدفع بلاده
الى تقليده دفعا عنيفا . وكانت روسيا الى عهده امة مستعصمة
بيداوتها . فبعث « بطرس » البعث الى المانيا وفرنسا
وانجلترا ، وحث الناس على اتخاذ السمات الاوروبى فى المآكل
والملبس وآداب الاجتماع .. واخذ الناس بالרטانة الفرنسية
والاطلاع على آدابها الحسان . فكان ذلك القيصر القديم هو
الاصل الذى اخذ عنه « مصطفى كمال اتاتورك » فى هذا الزمان
لولا ان الطفرة التى اراد بطرس قومه عليها كانت اكبر واعنف
من تلك التى راض عليها اتاتورك ابناؤه بلده المحدثين ..

والناس - مذ كانوا - اعداء ما جهلوا ... فكل طفرة من
شأنها ان تجد فيهم مقاومة حاضرة ، ولو كانت الى الخير

والرخاء .. فما ان مات بطرس حتى سعت عناصر الرجعية الى الاستيلاء على زمام الامور . .

ولكن هيهات .. ! فان النهر لا يتجه القهقري من المصب الى المنبع ابدا ، يصدق ذلك في طبائع الاجتماع وعلم تقويم البلدان على السواء . فلم تفلح تدابير الحاكمين من بعد بطرس في رد النور عن الكهوف الرطبة المظلمة التي كانت تعيش فيها العقلية الروسية منذ قرون . فانتصر النور الجديد ، وبقي الجنى مطلق السراح ، والاقزام من حوله يقراون التعاويذ لرده الى القمم المكسور ..

فماظنك بعملق كان جيسافى قمقم مظلم ، فاذا به يرى الدنيا لأول مرة ، ويرى حواسه تلتهم الاحساسات الجديدة طوفانا بعد طوفان .. ! ؟

انها النشوة الكبرى .. ! انه « جنون الحياة » و « حمى الاحساس » تسرى في جوارح العملق الطليق ، وفي اعصابه ، وقلبه ، وتلافيف دماغه الذى تملكه الدوار لكثرة ما يرد عليه من الصور والاحاسيس . . فكانت تلك النخبة الممتازة من « التعبير الفنى » الفريد ..

كان بوشكين ، وكان جوجول ، وكان تورجنيف ، وكان تشيخوف ، وكان تولستوى ، وكان دستويفسكى .. انه ثوران البركان ، او هو تحول محور الارض عن مكانه المرسوم في آفاق الفضاء ، او مولد « مجرة » جديدة تهتز لمولدها نواميس التجاذب بين اجرام السماء ..

فالمبقرية هى غاية طاقة الخلق التى لا تتفتق الا فى الحين بعد الحين ، ينبوعا خالدا خارقا للمعرفة الثاقبة الاحساس

مقدمة العربية

النافذة الى صميم الوجود ، حيث تلهو الملايين من البشر
بالقشور الاصداغ على شاطئه الضحضاح ..



ذلكم هو قبيل دستوفسكى من نبلاء النوع الانسانى واعلامه
البرزين .. فمن هو دستوفسكى ، ذلك النبيل بين النبلاء
والعلم الشامخ بين شوامخ الاعلام .. ؟

انه اصغر ابناء طبيب من اطباء الريف فظ الطبع ، خدن
دن وتبع نساء . سام زوجته سوء العذاب حتى ماتت وابنها
« فدور » فى سن السادسة عشرة يطلب العلم فى بطرسبرج
توطئة لتخرجه ضابطا فى جيش القيصر ..

بيد ان الخدمة فى جيش القيصر لم تكن هم ذلك الفتى
المتوسط الطول ، العريض الصدر ، الاشقر الشعر ،
الشاحب الحيا ، اللامع العينين ، وانما جل همه فى قراءة عيون
الادب الغربى ، ولا سيما مؤلفات شكسبير ، و « انوريه دى
بلزاك » القاص الفرنسى الضحل الذى يعتبره فدور استاذ
وامامه فى فن الرواية ..

واذا كان المهود فى ضباط الجيش القيصرى ان يحيوا
الرقص والشراب وصحبة النساء .. فما كان الضابط فدور
على شاكلتهم فى شىء من ذلك : فهو كتوم ، منطو على نفسه ،
نزر الكلام ، تشغله القراءة وترجمة آثار بلزاك - ولا سيما
« ايجينى جرانديه » عن ارتياد المراقص والمواخير . فما وافت
سنة ١٨٤٤ ، وقد بلغ الثالثة والعشرين ، حتى فصل من خدمة
جلالة القيصر لانه ابى النقلة الى الاقاليم ، مؤثرا البقاء فى
العاصمة بين الكتب والاوراق فى سكن متواضع لا يكاد يبرحه ليلا
ولا نهارا ..

وقد اختلف الناس في نسبة العبقرية الى مس من جن يسكنون وادى عبقر . ولكن الذى لامحل للخلاف فيه ان العبقرية شىء خارق . . حرى ان يلزمه اختلاف عن النمط السوى او المألوف في عناصر التكوين . . وبين الاختلاف والاختلال فرق ضئيل اذا كان ثمة فرق على الاطلاق . .

وقد تركت العبقرية طابعها ذاك في تكوين « فدور دستوفيسكى » فتركته فريسة سهلة لنوبات من الصرع شقى بها منذ يفاعته الى ختام حياته في سن الستين . .

* *

فصل دستوفيسكى من الجيش في الثالثة والعشرين من عمره ، فعكف على الكتابة والاطلاع ، فلما كان في الرابعة والعشرين اتم روايته البكر ، التى قدر لها ان ترفعه الى قمة الشهرة والمجد الادبى دفعة واحدة ، حتى اصابه من ذلك دوار شديد . .

وهذه الرواية هى التى نضعها اليوم بين يدى قراء الشرق العربى :

المساكين . .

فهى اول ما جادت به عبقرية دستوفيسكى ، فنوهت به بعد خمول ، واذاغت ذكره واعلت قدره عند جمع النقاد وجمهرة الادباء والقراء . .

وقد بلغ من تأثيرها ان الناشر ، وهو رجل كاتب واديب متمكن من الصناعة الادبية . . فاضت دموعه على وجهه مدرارا وهو يقرأ تلك الصفحات النابضة بالاحساس العاطفى العميق . وانه ليندر جدا - في جميع ما حفلت به الآداب الانسانية - ان يجد المرء نظيرا لقصة « المساكين » فهى على بساطتها

من الصدق بحيث تلمس القلب فيتحرك لكل كلمة فيها ، ويعانى ما عاناه أبطالها « المساكين » . من غنت الدهر وقسوة الناس وجبروت القضاء ..

انها قصة كل مسكين فى هذه الدنيا ابت عليه الايام حق الانسان المقدس فى الحب ، وفى الرحمة ، وفى الحد الأدنى من العيش الكريم الذى يصون ماء الوجه ودماء القلب ..
انها قصة الحرمان ، بكل ما للحرمان من سطوة على مصائر بنى الانسان ..

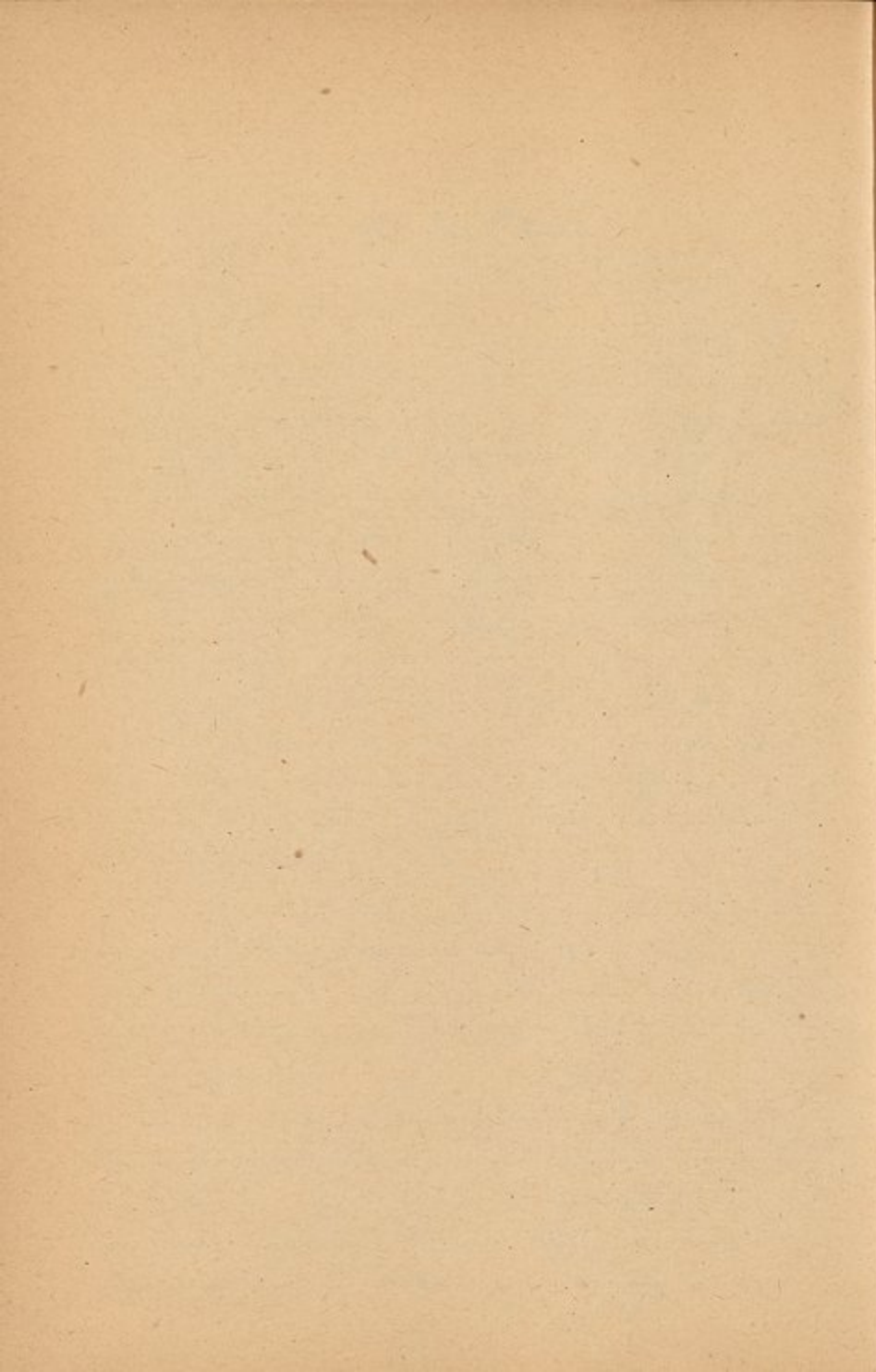
فاذا خانتك الدمع ايها القارىء - وسيخونك حتما - وانت تتلوها مستغرقا فى سطورها المتأججة بالشعور الجياش ، فلا تخجل من دموعك ، واطلقها .. لانها ليست دموع الضعف التى تهدر الرجولة والانسانية ، وانما هى دموع الاحساس الكريم ، والاسى الرحيم ، لنفوس حرمت كل جميل ، وهى اهل لكل جميل ، لانها فطرت من النور ، وصبت الى التنور ، فقضى عليها أن تتخبط فى غياهب الديجور ..

انها احياء حرمت حق الحياة .. فما احراها بدمعك ايها القارىء الكريم .. وما احراها بقلمك (دستويفسكى المبدع وفنه العظيم ..

مصر الجديدة

يناير سنة ١٩٥٢

صوفى عبد الله



هو وهى

٨ ابريل

عزيزتى المفداة بربارة الكسايفنا .: !
ما كان اسعدنى بالامس يا اختاه .. ! لقد كادت السعادة
تقطر من جوانحي ، لفرط ما فاضت فيها عذبة رقراقة ..
فقد فعلتها ايتها العنيدة الشمس ، ونزلت - لأول مرة في
حياتك - على ما طالما توجهت اليك بطلبه ، راجيا ملتصبا .
لقد صحت امس في نحو الثامنة مساء (فانت تعلمين
يا اختاه مبلغ تعلقى بالنوم ساعة او ساعتين حين اعود من
عملى) ، فاوقدت شمعتى واعدت اوراقى واقلامى . . ثم
رفعت رأسى مصادفة ، فاذا قلبى يدق في صدرى دقا عنيفا
متلاحقا .. لقد فهمت اذن ما كان يحنه قلبى ويتمناه فؤادى
المعنى .. فهذى انت قد ازحت جانبا من ستار نافذتك ، وثبتته
في اصيص البلسم القائم في وسطها .. كما اوجيت اليك ذات
مرة في تلميح لم يغب عن فطنتك ..

بل خيل الى اننى رايت من وراء زجاج النافذة وجهك
الفاتن ، وكانك واثت في حجرتك تنظرين الى ، وتفكرين في .
وما كان اشد حررتى - يا ملاكى - لاننى لم اك مستطيعا ان
اتبين في تلك العتمة ، وعلى ذلك المدى ، معارف محياك
الحبيب الى قلبى ..

لقد كان لى انا ايضا بصر حديد يوما ما يا اختاه . الا بثست
الشيخوخة يا صديقتى الحسنة .. فهانذا الان مثلا وقد بدا
لى كل شىء مثنى مثنى ، فما اكتب في العشى ساعة وجيزة
حتى تهتاج اعصاب بصرى فاصحو في الفداة محمر العينين ،
وللدمع منهما مسيل لا ينقطع وهميان لا يرقا ، حتى ليركبني

الخزى من مرآى حين تقع على انظار الناس ..
ولكننى رايت ابتسامتك السماوية يا ملاكى .. بعين
وجدانى .. رايتها يا اختاه ، فاضاءت بها روحى القابعة فى
الظلمات ، وسرى فى فؤادى ذلك الشعور الذى خالجه وجاش
فيه يوم قبلتك يا « فارينكا » .. اترك تذكيرين ذلك اليوم
يا ملاكى .. ؟

اتدرين انه خيل الى انك كنت تهزين سبابتك الحلوة فى
وجهى محذرة ، من وراء زجاج نافذتك أمس .. ؟ فهل هذا
صحيح ايتها الحميقاء ؟ لا تكتمينى شيئا من هذه التفاصيل
فى خطابك يا عزيزتى ..

والآن ، اما ترين فكرة رفع جانب من الستار كشفا موفقا
من كشوف الالهام .. ؟ فاذا جلست فى جوف الليل الى
اوراقى ، او رقدت يقظان فى فراشى ، وسعنى فى كل حال ان
اعرف انك تفكرين فى ، وانك مانسيت صديقك الوامق ، وانك
بخير صحة وفى احسن حال .. حتى اذا اسدلت الستار تمام
الاسدال ، فهمت عنك انك تقولين لى بصوتك الباغم :

— عم مساء يا صديقى .. وطاب نومك ، فقد آن اوان
النوم ..

ثم ترفعين الستار مرة اخرى ، فكانك تقولين فى بشاشة :
— عم صباحا يا صديقى .. هل نعمت بنوم هنىء .. ؟
وكيف أصبحت اليوم .. ؟ فانا بحمد الله بخير وعافية ..
ارابت يا صديقتى كيف صار الكلام بيننا متصلا بغير حاجة
الى التدوين والتجبر .. ؟ اما تريننى صاحب خيال واخا
حذق وزكانة حين ابتدعت هذا الفن من ادب الرسائل .. ؟

لقد طاب رقادى ليلة امس ، وما كنت اتوقع ان يطيب ..
 فان اول ليلة يقضيها المرء فى مسكن جديد خليفة ان تحفل
 بالارق والقلق لغياب الالفه وتغير العادة .. ولكنى فتحت
 عينى هذا الصباح ناشط الجسم متفتح النفس فكأننى باز
 من الصقور حن للصيد والطراد فى أجمة حافلة بالفزلان ..
 لقد كان صباحنا اليوم رائعا يا اختاه ، فما فتحت نافذتى حتى
 دخلت اشعة الشمس الساطعة ، وتدفق فى اذنى تغريد الطير ،
 وفغم معاطسى عبر الربيع الطيب النفحات العاطر الاردان ..
 فكان الطبيعة قد بعثت من موات ، فهى فرحة نشوى ، وكل
 شئ فيها يشاركها فى افراحها ويسهم فى حفل زينتها الفينان !
 حتى انا يا عزيزتى ، قد اسهمت فى افراح الربيع ، وسرت
 فى جسدى الواهن روحه الشابة . وكان سهمى يا اختاه فى
 افراح الربيع اننى استسلمت الاحلام ، فكنت أنت ملء حلمى
 بالحياة والشباب ، والربيع .. فتبدت لى فى احلامى طائرا
 جميلا صغيرا من طيور السماء .. فما يعرف ابناء الشقاء من
 ابناء الفناء خلقا اولى بغبطتهم بين خلق الرحمن ، من الطير
 المفردة بين الافنان ، تحلق وتحط اين شاءت ، ولا يكلفها
 المعاش معاشره بنى الانسان ..

ولكن الاحلام على حلاوتها تنهى اليم يا فارينكا .. فانها
 تنتهى الى حشرات ، متى افاق المرء على الواقع الدميم ..
 دميم .. اجل .. ولا مهرّب منه .. فدعينا من الاحلام
 يا فارينكا وخبرينى كيف حالك ، وكيف حال « فيدورا »
 معك .. احسب عشرتها تطيب لك ، فهى هادئة طيبة القلب ،
 وتحت مظهرها الجافى باطن لين المهاد من الرحمة والحنان ..
 لقد حدثتك من قبل عن « تيريز » التى تقوم على خدمتنا

هنا ، وهى كصاحبتك « فيدورا » ممن فطرن على الطيبة
والرحمة . . وقد رفعت عن صدرى هم رسائلنا وكيف
نتبادلها خلسة من اعين الناس وسوء مظنتهم . . فستتولى
تبريز هذا الامر عن طيب خاطر ، فهى رضية الخلق ، على
نقيض صاحبة البيت التى ترهقها بالعمل الشاق وتساء
معاملتها اساءة ليس عليها من مزيد . .

ولاحدئك الآن عن مسكنى الجديد . وانه لعمرى لمسكن
غريب ، غريب فى نظرى على الاقل . . فقد تعودت فيما
سلف من مساكنى هدوء البال والصمت ، فلا تسمع فى البيت
نائمة ، واذا طنت ذبابة فى هوائه كان طنينها حدثا يسترعى
الاذان . . اما هذا البيت ، فهو جهنم التى لا يكف لزبائنها
ووقودها صخب وضجيج . .

فتخيلى يا عزيزتى دهليزا طويلا ، شديد العتمة ، شديد
القذارة ، جداره الايمن ليس به شئ ، واما جداره الايسر
فسطر من الابواب المتشابهة المتعاقبة على مدى متساوق
كأبواب حجرات الفنادق . . وهذه هى ابواب الغرف المؤجرة
للساكين ، ومنها ما يكتريه مستأجران او ثلاثة مستأجرين
واما النظام فامر لا يجرى له ذكر فى خاطر احد من اهل
هذا المكان . . فكانه فلك نوح !

بيد ان النصفة تقتضىنى ان أشهد للسكان بالظرف . .
فمعظمهم من اهل الثقافة والعلم . . وان كان فيهم نفر من
الضباط ، واولاء لا هم لهم الا المقامرة ان ليلا وان نهارا ، لا
يجدون عنها منصرفا . .

اما صاحبة البيت فأعوذ برب الفلق من شر ما خلق . . !

انها عجوز قصيرة القامة خبيثة .. بينها وبين النظافة ترة !
ولا هم لها سحابة اليوم الا التنقل الى البيت في زى حائل
اللون وخف بال ، لتعقب الخادم تيريز بقوارص الكلم .. !
واما انا، فمقامى في المطبخ ! ليس فيه تماما ، بل في حجرة
صغيرة ملحقة به (ولا تنسى ان مطبخنا في هذا البيت حسن
النظافة طيب الرائحة مريح يتخلله النور والهواء) . واذا اردت
التدقيق ، فاعلمى ان المطبخ متسع جدا ، له ثلاث نوافذ ،
فاقيم في وسطه حاجز او ساتر جعل منه حجرتين ، فخرجت
لى تلك الحجرة التى نعمت بسكنائها ، وفيها تلك النافذة
التي ارى نافذتك منها .

ولا تنسى ان هذا الموضع يتيح لى العزلة ، فلا تصل الى ضجة
سائر السكان ، ولا يكاد احدا منهم يحس لى وجودا .
وقد جعلت فيها مائدة صغيرة للاكل والكتابة، وفراشا ، ومقعدين
وصوانا صغيرا ، وعلقت على الجدار ايقونة ، فما ينقصنى فيها
شئ على الاطلاق .

ولست اجد ان من المساكن ما يفضل هذا السكن فضلا،
ولكن اوجه الراحة التى تلزمنى شخصا بصفة خاصة تتوافر فى
هذا « الركن » الهادئ توافرا لا مزيد عليه ، وانا امرؤ يتوخى
الراحة ولا يكثرث للابهة والبذخ

وهل من راحة اروح لى من تقابل نافذتنا ، لا يفصلهما الا
فناء دارك ؟ وانه لعمرى لفناء ضيق الرحاب ، اراك فيه غادية
او رائحة فكاننى لو مددت ذراعى حرى ان المس جدائل شعرك ..
فيتبدد شقائى وتحبب الى الحياة ...

وتم مزية اخرى لا تنكر ، فهذا السكن رخيص ، يفيض لى من
كرائه ما اشرب به الشاى ، وماكنت اذوقه الا لماما . ولا سيما

ان اهل هذا البيت قوم ذوو يسار ، فاحتساء الشاي عندهم فريضة ، فلا يخلق بى ان اشدعنهم . واما ما بقى من راتبى الصغير فمن لطف الله ان يسد خلأتى المتواضعة ، كخصف نعل يبلى ، او تبديل ثوب يخلق او معطف يرث .

وما اشكو زمانى ، فحاشاى ان اشكو وقد زاد مرتبى فى السنوات الاخيرة حتى بات يحسدنى عليه الكثيرون من نظرائى . ولا يخلو عام من مكافأة عارضة او هبة على وجه الاستثناء . وقد اشتريت لك اليوم اصيصين من البلسم واصيصا من زهرة الراعى (الجيرانيوم) وجدتها زهيدة الثمن . ووجدت عنده كذلك اصصا من الفاغية حسانا ، فاذا رغبت فى شىء منها فاذكرى ذلك فى جوابك ، فليس الدكان بعيدا ، واثمائه ليس فيها شطط واياك ان ترجعنى سكنى فى هذا المكان المتواضع الى غير سببها الحق . فما بى والله ضائعة ولا خصاصة ، فانى ادخر لبارحات الايام شيئا من المال يفيض عن حاجتى . وانما هو التماس الراحة ، والسعى الى قرباك .

لقد اطلت عليك ... ووقت عملى قد ازف ، فاستودعك الله ، واطبع على اناملك الرخصة قبل اعزاز من

وليك الوامق

«مقار ديوفشكين»

ملحظ : استحلفك ان تردى على فورا . وارجو ان يعجبك رطل الحلوى الذى ابعث به اليك مع هذا الخطاب . والى اللقاء اينها الاخت .

٨ ابريل

عزيزى السيد مقار

اتعلم ان الامر قد ينتهى بيننا الى الخصام ؟ فانى وايم الله لاجد

فى نفسى لما لما تقدمه الى من الهدايا والالطاف ، فليس غائبا
عنى ما تتجشمه فى هذا السبيل من التضحية ، وما تحرم نفسك
من الضرورات من اجل . وكم من مرة كررت على اسماعك اننى
لست بحاجة الى شىء على الاطلاق ، وان ظروفى لا تسمح لى ان
ابادلك الطافك الحسان بالطف من مثلها او تقاربها . ثم ماذا
عسيت ان افعل بكل تلك الاصص المزهرة ؟ واذا تفاضيت عن
البلسم ، فماذا ترى افعل بزهرة الراعى ؟ اهذا عقابى لانى اعجبت
باحداها امامك عرضا ، وبغير اكتراث ؟ .. وما اظن الا انها
كلفتك كثيرا .. فهى جميلة حقا .. لقد وضعتها على كل
حال فى منتصف النافذة ، فى مكان الشرف ، وجعلت امام
النافذة رفا ثانيا يتسع لمزيد من اصص الازهار التى ساشتريها
يوما ما ... حين يواتينى مثيل ما تنعم به انت من الشراء ! وقد
سر « فيدورا » ما اصفته هذه الازهار من الرواء على حجرتنا،
حتى باتت وكأنها جنة النعيم .

ولكن لماذا بعثت كل تلك الحلوى ؟ الحق اننى تشممت شيئا
غريبا من ثنايا سطورك الاولى ، فقد اكثرت الحديث عن الربيع
والزهر والشباب وشذى العطر وغناء العصافير ، حتى توقعت
ان تقع عينى فى السطور التالية على قصيدة عصماء ! افهل غدوت
الآن من زمرة الشعراء ؟ لست اراك ينقصك من عدتهم شىء :
فلديك الاحلام الوردية ، والعواطف الرقيقة المتدفقة ، ولا احسب
الوزن والقافية يعيينك !

اما الستار يا صاحبى ، فما فكرت امس فى ازاحة جانب منه
كما وهمت .. وانما هو قد ازيح عفوا ، ويغلب على ظنى ان ذلك
قد حدث وانا ارتب الاصص فوق رف النافذة .. لهذا لزم التنويه !
واما ما حاولت من اقناعى بيسر حالك ، فامر لا يقنع احدا ، ولا

سيما فتاة مثلى تعرف مداخلك ومخارجك ، وترى مبلغ ماتت حامل به على نفسك فى سبيلها .. حتى اضطرت الى ذلك السكن الذى يقل عن مستواك كثيرا ، فقد خبرتنى « فيدورا » ان مسكنك السابق كان خيرا من هذا السكن بكثير .

ولكن خبرنى : هل أنفقت جميع عمرك متقللا بين البيوت المفروشة ، تعيش وحيدا فريدا بين غرباء ، لأنيس لك ولاصديق ، وليس من صدر حنون تطمئن اليه وتسمع منه لفظا رقيقا يجلو عن قلبك الصدا ؟ ..

تالله كم أرئى لك يا صديقى ! ثم لماذا تشتغل فى الليل على ضوء الشموع ، مادام بصرك يتأذى من نورها ؟ وما أحسب رؤساءك الا مقدرين لك سابقة فضلك وحسن بلائك فى عملك ..

لقد صحت اليوم منتعشة النفس كما صحت أنت ، فاشتريت حريرا وانصرفت الى العمل فى جدل .. ولكن الضيق عاد الى ركوب كاهلى . فماذا يخبئ لى الغد من الاحداث ؟ أو ترانى سأظل على هذا الحال ، وخير منه برودة الموت وظلمة القبر .. فليس فى حاضرى ما يشجع على الاستبشار بالعيش والرضى بالبقاء . وليس فى ماضى حياتى - وما أكثر ما تروى حولى أشباح ذلك الماضى - الا ما يسوء ويحزن .. فما تكفى بحار الدمع لغسل ما رسب فى نفسى من المرارة والحزن على ما لقيت من ظلم الناس ، بغير جريرة جنيته ..

لقد أوشك الليل أن يخيم ، فاستودعك الله وان كانت الكتابة ترفه عنا مانلقى ونعانى .. ولكن لماذا لاتأتى لزيارتى يوما ؟ افعلى بربك ، وسارفع جانب الستار الليلة ، وعمدا فى هذه المرة ، وطاب ليلك .

بربرة

٨ أبريل :

سيدتى بربرة العزيزة !

جاءنى خطابك ، ورأيت بين سطوره مبلغ سخافة كهل فى سننى اذ يتحدث عن الشمس والزهر والربيع .. فشكرا لك على هذا التنبيه ..

ولكننى لا أدرى لماذا يتبادر الى ذهنك اننى محروم من شىء ، أو انك تكلفيننى ما لا أطيق . كلا .. فانى فى يسر والحمد لله . ثم كيف خطر لك أن تطلبى منى ان أزورك فى حجرتك ؟ أما تقدرين ماذا سيقول المتقولون من السنة السوء ؟ انى أود أن أحظى بزيارتك ، علم الله ، ولكن ليس الحذر خيرا وأولى ؟ ليتنى أراك غدا فى صلاة العشاء بالكنيسة ، فمثل هذا اللقاء اليق وأسلم عقبى ..

لقد رأيتك وأنت تزيجين الستار ، ثم تبينت وجهك وأنت تسدلينه قبل النوم . . . فشكرا يا عزيزتى ، ألف شكر . ورعاك الله وأبقاك يا بربرة لصديقك الصادق الود

مقار ديوفشكين

٩ أبريل :

عزيزى السيد مقار

أترانى قد أسأت اليك وخذشت شعورك بخطابى ؟ ان هذا لم يخطر ببالي اذا الفضل الذى يطوق عنقى أبد الدهر .. وانما هى خفتى التى تغلب على لسانى ، فيخيل اليك اننى أتهمك ، وحاشاى أن أتهمك أو أعرض لك الا بكل حمد وثناء .. ولعلنى ما انزلت الى ذلك المزاج البرئ الا لما خيل الى من غلبة المزاج والمرح على خطابك . ففعوا يا عزيزى ، ولا يخامرنا شك فى اجلالى واعجابى بمزاياك وسجاياك اعجابا لا مزيد بعده لمستزيد .

انى صحت اليوم ضيقة الصدر ملولا . ثم اعترتني رعدة
وغشيتني الحمى ، حتى أفلقت حالتي « فيدورا » . فتعال
لزيارتى يا صديقى ، ولا يغلبن عليك الحرج ، فليس فى زيارة
بريئة ما يضير . .

فاغفر لى مرة أخرى ، وتعال لاراك

بربارة

١٢ ابريل

عزيزتى السيدة بربارة :

ماذا بك يا اختاه ؟ اما تكفين يوما عن اثاره القلق فى نفسى على
صحتك المرهفة ؟ الست قد كررت عليك فى كل خطاب كتبته
اليك ، الا تخرجى فى البرد ، وان تندثرى بالملابس الدفيئة ؟ ولكنك
والاسفاه لا تصفين الى ما اقول ، ولا تلقين اليه بالا . فما انت
يا يمامتى الا طفلة وان تقدمت بك الايام الى ميعه الشباب . وما
أوهن صحتك واوهى عودك ! فلا تهملى امر نفسك يا اختاه ، حتى
لا تلقى بمن يحبونك فى اتون القلق المقيم والقنوط الاليم .

لقد سألتنى عن جبرتى الجدد ، وانى محدثك من امرهم بما تنهاى
الى علمى او مارسته بتجربتى القصيرة

واول ما يسترعى انتباه الانسان فى هذا البيت ، أن له
رائحة غريبة ، ولا أقول كريهة . . ولكنها قد لا تستساغ لاول وهلة ،
حتى اذا مكث المرء فى البيت دقائق معدودات تشبعت يداه
وأنفه ، وعيناه ، وثيابه ، وجميع جوارحه وملابسه بتلك الرائحة ،
فلا يحس لها بعد هذا وجودا .

والبيت منذ بكرة الصباح كخلية النحل ، فمواعد الشاى
(الساموفار) فى البيت قليلة ، وهى كلها ملك لصاحبته العجوز ،
فكل انسان له دور معين فى الحصول على نصيبه من الشاى

الحار .. ومن تقدم قبل دوره أصابته ضربة من جريدة فى يد ربة البيت ، فيصيح السكان مهللين !

وحول مواقد الشاى . وفى انتظار دورى ، تعرفت بجيرانى وعرفت أحوالهم .. أما فى الليل ، فليس الى النعاس المتصل سبيل ، لان الضباط يسهرون فى حجرة واحدة يلعبون فيها الورق ويصخبون معربدين فى الفينة بعد الفينة .. ثم هناك أصوات أخرى تنبعث من هنا وهناك ، تنم عن أمور تجرى فى جناح الظلام يخجلنى الحديث عنها لاي انسان ، فضلا عن ملاك مثلك . ولكن ما يدهشنى حقا ، هو كيف يتسنى لاسر ذات ولد أن تعيش بأطفالها وسط هذا الفسوق المفضوح .. ففي البيت أسرة من هذا الطراز فاضلة تعيش فى حجرة واحدة ، لا يكاد يحس المرء لهم وجودا ، فهم منطوون على أنفسهم ، وحين ينامون فى الليل يجعلون فى الحجرة فاصلا من القماش بين منام الوالدين ومنام الاطفال الثلاثة .

والاب رجل هادئ جدا ، فصل من الوظيفة لسبع سنين خلت لسبب مجهول ، واسمه « جورشكوف » ، فهو زرى المنظر والملبس ، الى درجة تثير الالم فيمن يراه . وأحسبه مصابا بمرض علمه عند الله ، فركبتاه ترتعدان ، ويداه ورأسه وكل شيء فيه يرتعد .. واذا مشى لازبالجدران حتى لا يلحقه أحد .. أما امرأته فيبدو انها كانت ذات حسن قبل أن تذوى نضرتها أحداث الزمن .. والحديث عن فقر هذه الأسرة لا ينتهى ، فهم فى ضنك شديد . ويقال ان الرجل ينتظر الفصل فى قضية يتعلق بالحكم فيها كل أمل له فى المعاش الكريم .

وأهول ما يهولنى من أمر هذه الأسرة اننى قد أمر بحجرتها وفيها الاطفال ، فلا أسمع أدنى نامة ، وتلك آية سوء ومحنة

شديدة ، فمايسكت الاطفال الا عن كرب شديد ومذلة ماحقة .
ومايذكر أحد في البيت انه سمع اطفال « جورشكوف » صارخين
يوما أو ضاحكين أو باكين ، فكان حجتهم قبر صامت . وما
ورد ذكرهم على خاطري مرة الا ربني من ذلك هم ، وجفا النعاس
أجفاني .

والآن سلاما يا عزيزتي « فارينكا » فقد غامت نفسي لذكر
هؤلاء المساكين . وماكنت أود أن أصف لك حالهم ، لولا أنك
الححت في معرفة جيرتي الجدد، فهناك هم .
واغفري لي يا ملاكي ماترين في كتابتي من قصور في التعبير
وعجز في الوصف والتصوير ، فما أنا الا كهل جامل فاتته قافلة
العلم صغيرا ، لانه كان أفقر من أن يتعلم .
وانى لك على الدوام الصديق الصادق الاخاء

مقار ديوفشكين

٢٥ ابريل

عزيزي السيد مقار

قابلت اليوم بنت عمتي « ساشا » ، فواحسرتا عليها ! انها
تكاد تقضى بعلتها القاسية . وقد علمت منها أن « أنا
فيودوروفنا » مجتهدة في استقصاء خبري ، وتزعم انها
على استعداد للصفح عما فعلت وتعتزم أن تزورني قريبا .
وعلمت كذلك انها تتقول عليك، وتزعم أن قرابتك لي لا تخولك
القيام على شأنى ، وانها هي امس رحما بى منك ، وان من
العار ان اقبل منك المعونة فيما يقوم بأودى . . . وانها تنحى
على باللائمة لاننى جحدت فضلها السابغ على أسرتي ! وحتى أمتى
لم تعفها في ثراها من التفرع والتشهير والافتراء .
وأدهشنى انها تصر على خطئى ، واننى قد ضيعت فرصة
السعادة المتاحة التى هدتنى اليها فالتويت بها عن غايتها .

بل انها تزعم أن « بيكوف » كان محقا اذ رفض الزواج منى ، فما ينبغي أن يتزوج الانسان من أول فتاة يجدها بين ذراعيه ..
رباه ! ان هذا فظيع ! أما كفاني مالمقيت من هذا التاريخ
الاسود ، حتى أتجرع غصص الغبن وسوء التقدير ؟ عفوك
يا صديقى لهذه الثورة ، فانى لأملك نفسى من البكاء والنشيج .
ولا تلق بالآلى تهويلات فيدورا عن صحتى ، فانى خير مما
تصور لك بكثير . . . وانما هو برد طفيف أصابنى حين توجهت
أمس الى القداس الذى يقام فى « فولكوفو » على روح أمى
المسكينة . . .

لك الله يا أمى ! ليتك تخرجين من قبرك ، وليتك تعلمين
وتشهدين مالمقى من بعدك ، وانه لاهون الهوان وأفدح الحسران !
برادة

٢٠ مايو :

يمامتى فارينكا :

اليك يا يمامتى شيئا من العنب ، فهو فى رأى الاطباء مما
تصلح به النقاها ويدنو به البرء ، وليس كمثله شيء لنقع الفلة
الصادية . . . واليك ايضا شيئا من الخبز الابيض ، سمعتك
تشهينه منذ أيام ، فعسى أن تكون شهوتك للاكل طيبة ، فذلك
هو لباب العلاج من دائك . . . واحمد الله أن ظلاله القائمة
انجابت عن جسدك الرقيق ، فانجابت بذلك عن قلبى سحب
الجزع المظنى . الف شكر لله على تلك المنة العظمى يا اختاه .
واما ما حدثتك به فيدورا عنى فلا تصدقيه ، فلم يخطر لى
قط أن أبيع كسوة عملى الجديدة . فلماذا أبيعها ؟ لماذا بالله عليك ؟
فالمال لا ينقصنى ، وسأقبض مكافأة طيبة عما قريب . فلا
تلقى بالآلى ترهات فيدورا ، ولا تهتمى الا بما يجعل شفءك ،

فانك ان شفيت سريعا اتحت لنا اكمل سعادة تتاح للبشر فى
الحياة الدنيا .

ثم منذ الذى زعم لك اننى قد ضمر عودى واصابنى الهزال؟
محض افتراء ! فانا فى خير حال ، بل احسبى سممت سمنا خليقا
ان يخلجنى من نفسى .. فليس ينقصنى شئ ، واما الطعام
والشراب فانى اصيب منهما شبع بطنى ... وليس ينقص من
سعادتى الا مرضك ، فابرئى منه تتم لى نعمة الله جميعا .
واستودعك الله يا عزيزتى ، نائرا على اناملك الدقاق ألف
قبلة من

صديقك الذى يحفظ عهدك وبرعاه

مقار ديوفشكين

ملحظ : لا تلحى على فى الزيارة ، فقد زرتك حين غيبتك
الحمى عن وعيك ، ولكنى لم اعد اليها لما رايت الهمس قد بدا
ينوشنا بما لا يرضى الحق .. فلو زرتك الآن فما عسى ان يظن
الناس بنا ؟ فاصبرى حتى تشفى ثم ندبر بعد ذلك امر لقائنا فى
مكان بعيد عن بيتينا ...

اول يونيه

عزيزى العزيز :

كم وددت ان اقدم لك شيئا ينهض بمعروفك واياديك البيضاء
ولكنى لا املك الا قلبى العارف بالجميل ، الحافظ للود ، المغمور
بفضلك العميم ورحمتك وبرك ، وما تجشمت من مشقة وعناء
وقلق ايام مرضى الطويل .

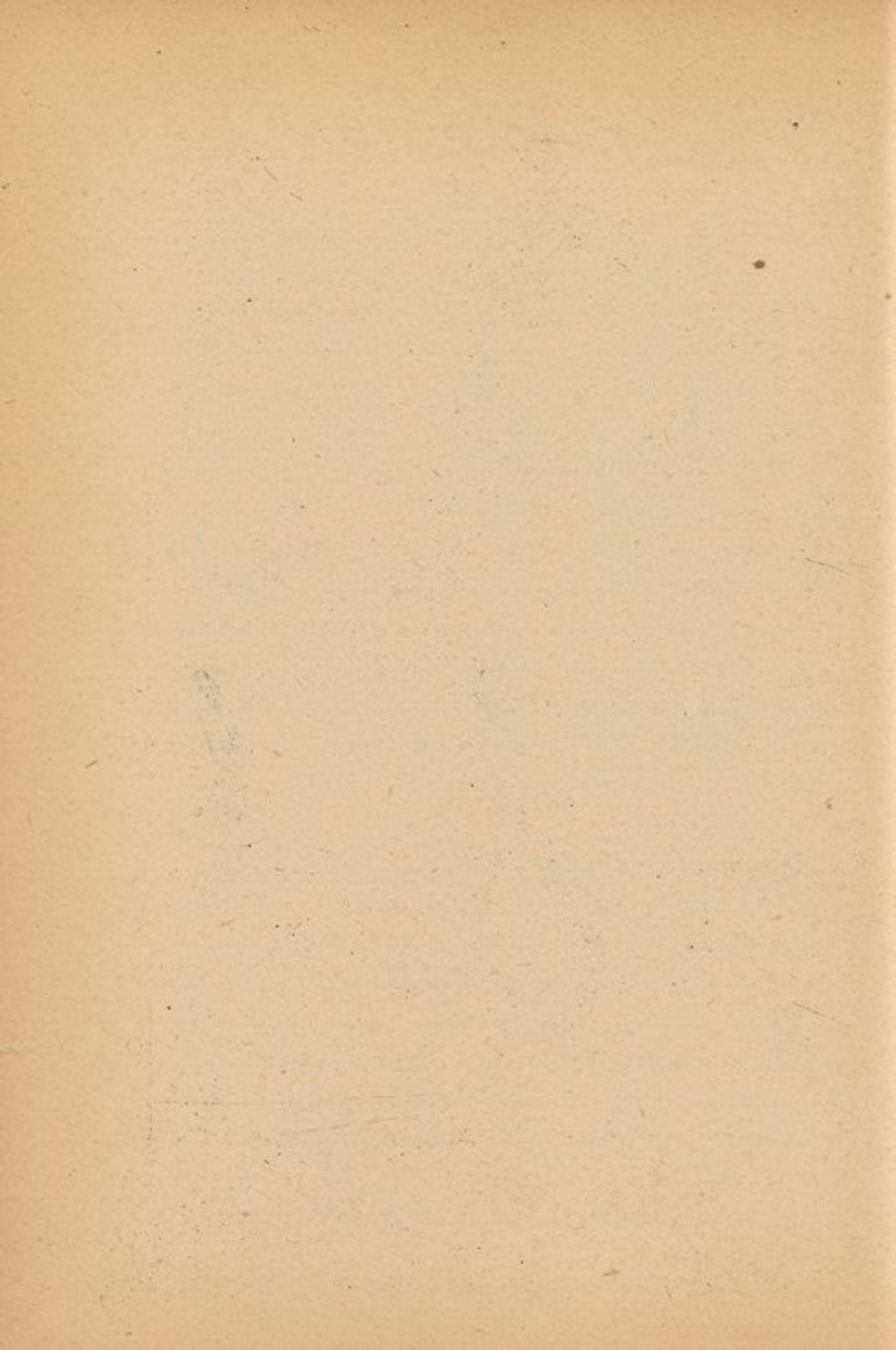
ثم عن لى ، فى لحظة اشراق روحى ، ان انقب فى درج الذكريات
الذى احتفظ فيه بتذكاراتى القليلة ، حتى وجدت الكراسه
التى كنت قد بدات فيما مضى ادون فيها قصة ايامى ، يوم كان
للسعادة والعناء بقصة ايامى موضع .. وانى ابعث اليك بها

الآن لتقرأ صفحاتها القلائل ... فهى أعز ما عندى ، لأنها مرآة
سريرتى ..

فكثيرا ما سألتنى يا صديقى عن سالف أيامى ، وعن أمى ،
وعن « أنا فيودروفنا » ومقامى فى بيتها زمنا ، ثم عن الكوارث
التي انحدرت بى الى نهائيتى الراهنة . فعسى أن تجد جواب
سؤلك فى هذه الصفحات التى سودتها فى أوقات متباعدة ..
أما أنا يا صديقى ، فما وجدت فى تلاوتها اليوم الا ما يثير الكتابة
ويشيع المرارة فى نفسى

ووداعا يا مقار .. فانى أرزح تحت عبء من السأم والملالة ثقيل ،
وقد بات الارق يلزمنى فى هذه الأيام حتى جعل نقاهتى
كالصحراء الموات لا نابثة فيها تصافح العين أو نائمة طير تؤنس
الأذن ..

بربرة



أصداء الزمن

صفحة طويت ..

لم تكن سنى قد جاوزت الرابعة عشرة حين مات أبى ،
فانتهى بموته عهد طفولتى ، اسعد عهد حياتى بالاطلاق ...
آه لذلك العهد الذى مضى ولن يعود ! لقد نعمت به زمنا رغدا
فى بلد غير هذا البلد ، بعيد موغل فى البعد ، فى موضع من
الريف قصى .. فقد كان أبى حينئذ ناظر أملاك الأمير « ب »
فكنا نقيم فى قرية من القرى التى تضمها أملاك ذلك الأمير .
شد ما طابت لنا تلك الإقامة التى يرفرف عليها الهدوء ،
وتكتنفها الطمأنينة ! فقد كنت فى ذلك الاوان فتاة دافقة الحيوية
كثيرة الحركة ، فكنت أقضى معظم أوقاتي راتعة بين الحقول ، ضاربة
بين الاحراش والآجام ، ألاعب فى البستان المزهى الحافل
بأفانين الشجر والريحان ، لا يعترضنى أحد ، ولا يتعقبنى
بالرعاية انسان : فأبى دائم الشغل بما تقتضيه ادارة الضياع
الواسعة من جهد وحركة ... وأمى لاتدع لها شئون البيت
فسحة من فراغ . فلم يعن بتعليمى احد من ذوى ، وتركت
على سجيتى .

وكم من يوم تسللت من البيت « والشمس فى خدر أمها ، والظل
لم يجز ذائبه » ، لا شهد يقظ الطير فى البحيرة المجاورة ،
وخروجه من وكناثه ناشطاً لتحية الحياة بخفق اجنحته وانغام
صداحه المتجاوب بين الارض والماء والسماء ...

وكم من نهار قضيت سحابتة فى الغابة بين الشجر الالفاف ،
والدوح السامق ، والظلال التى لا يسبر غورها البصر .. او فى
الحقول التى انتشرت فيها مناجل الحصاد ، أرقب الحاصدين
والحاصدات والعرق يتصبب كالجمان على وجوههم ، والقمح
كانه الذهب الوهاج بين ايديهم وفى احضانهم .. غير مكترثة
لوهج الشمس ، او للوحدة فى البرارى والاحراش .. حتى اذا

عدت الى الدار أنبنى والدى أوقرعتنى أمى ، فما كنت آبه لذلك
فتيلا ..

وأحسبني كنت قيمة الاسام تلك الحياة بين أحضان الطبيعة ،
لو انها دامت الى ماشاء الله ... بيد ان الايام لم تسنح بما أهوى
وكتب علينا ان نغادر ذلك المقام الهنىء الى « بطرسبورج » ، وأنا
بعد طفلة فى الثانية عشرة ... وما ذكرت يوم رحيلنا مرة الا
استهلت بالدمع عيناي .. فقد بكيت بكاء مرا وأنا اودع كل ترب
من أترابى ، وكل صديق من أصدقائي .. وكل انسان ، وكل
حيوان ، وكل نابتة فى الحقل كانت صديقا لى نعم الصديق فى
ذلك العهد السعيد ..

وانى لا أذكر اننى تعلقت بعنق ابى فى ذلك اليوم وتوسلت اليه
باكية ان يتركنى فى القرية زمنا قصيرا ، اتزود من تلك الربوع
بما يسلىنى اذا ذكرتها وقد نزحت الدار وشط المزار ،
فاستشاط ابى غضبا ... اما أمى فانفجرت باكية وقد هاج
دمعى عند الوداع كامن حزنها وشجاها ... ثم همست فى
اذنى ان الاحوال قد تبدلت غير الاحوال ، فقد مات الامير « ب »
الشيخ صاحب الضياع ، فاستغنى ورثته عن خدمات ابى
فلم يبق مناص من النقلة الى بطرسبورج ، حيث كان ابى قد
استودع نفرا من معارفه ما ادخره من مال يسير ، لعله يجدد فى
ذلك البلد رزقا ويجعل الله له فيه بعد عسر يسرا ..

.. كذلك حثت خطانا الايام من منزل السعد فى أقصى الريف
الى ان انزلتنا ذلك المنزل التكدفى ضفة بطرسبورج اليمنى ،
حيث عشنا عامين مات فى ختامهما أبى وأنا لا اعدو الرابعة عشرة من
عمرى ..

وشد ما كلفنى تغير الامور من حولى ، فلا اجد شيئا مما ألفت .

ولا علم لى بما يتكشف عنه قناع الغد • فكأننى فى متاهة من حيرة العقل والضمير ..

وكيف لا ، وقد غادرت القرية وشمس الربيع تبعث الحياة فى كل شىء ، حتى فى أطلال الاكواخ وأحجار الطريق ! فاذا بى أصل الى بطرسبورج فالفيها متشحة ببرودة الخريف المكفهر ، فلا شمس ولا حياة ، ولا الافق يترامى ما امتد البصر ، فلا يرتد وهو حسير .. ولا الطير غاد رائح على حقول القمح اسرابا اسرابا ، وأصواته تشيع فى الهواء الفرح وتبعث النفوس المنطوية على التفتح للحياة نافضة عنها الاحزان

كلا ! ذلك كان فى الريف ، اما فى بطرسبورج فالمطر والضباب ، والبيوت القائمة فى كل مكان كأنها سجون الابصار والارواح ! وأين من اسراب الطير الصادح وحذاء الفلاح الكادح تلك الجموع من اهل الحاضرة الكبرى يتزاحمون ويتدافعون ، ولا آصرة بينهم ولا ألفة ، فكلهم غريب ، وما من غريب فيهم للغريب نسيب ! فكلهم مشغول بشأته ، مزور عن غيره ، لا يرد التحية الا متأففا ، فالملل ، والتمرد والتبرم بالحياة طابع المدنية الغالب على أهلها فكأنهم اشباح حكم عليها بالعذاب فى واد من وديان المطهر ، يريدون لو فروا ولا يستطيعون ..

صنع الله لى ! فما كان اضيق صدرى حين فتحت عيني على أول صباح لى فى بيتنا الجديد ، بعد ليلة تحالف الكرى وجهد السفر فيها على أجفانى .. لقد نظرت من نافذة دارنا الجديدة ، فاذا خربة مسورة وشارع قذر لا ينقطع عنه مورد الوحول والاوساخ ، لا يمر به الناس الا نثارا متفرقين ، وعليهم أثرة تقال .. فيعدى مرآهم الناظر برعدة البرد الزمهرير ...

وكانما كان ذلك المنظر الخارجى آية على نمط حياتنا القابلة : فلم يعض علينا يوم فى ذلك البيت بدون مكدر ، ولا سيما من جهة

المال . فقد اضطربت أحوال ابى ووقعت بينه وبين « أنا فيودوروفنا » جفوة بسبب دين لها عليه مطالها اياه مكرها لسوء حاله . وما اكثر ما كان يزورنا قوم مستأدين حقهم فيكثر الصباح والنقاش ، حتى اذا خرجوا نفتقنا ابى غيظه المكتوم ، وصب علينا جام غضبه او انشأ يذرع البيت ساعات طويلة لاثنا بالصمت متجههم الاسارير ، فلا تجرؤ أمة على خطابه . . . واما أنا فانتحى ركننا قصيا لاقرا في كتاب ، محاذرة ان يند عنى صوت ينبه الى وجودى . . .

وما انقضت على نقلتنا الى بطرسبورج ثلاثة اشهر حتى ادخلوني مدرسة داخلية . فشيق العيش فيها على نفسى بادية ذى بدء ، لما فى تلك المعاهد من وحشة وصرامة . فضقت ذرعا بالمريبات والمعلمين ، وسئمت الحياة فى شهورى الاولى هناك ، فكم من ليلة قضيتها ساهرة يأبى النوم فيها ان يزورمقلتى المقرحة الاجفان . وكم من أمسية جلس الطالبات للاستذكار تحت رقابة مشرفة عبوس ، قضيتها جالسة مثلهن امام الكتب والاوراق ، فلا أرى منها شيئا ، لان خاطرى قد انطلق بعيدا ، الى حيث ابى وامى ومرضعتى العجوز التى طالما اسمعتنى احاديثها واقاصيصها العذاب فاستهوت خيالى المشبوب . . حتى اذا عدت من رحلتى الحاملة ران الاسى على نفسى حتى لتشتهى الموت . . . فأين من ذلك الصمت ، ومن هذا النظام الصارم ورعاية السميت ، دفء البيت ، وحرية الحركة فيه وقبله الام الحنون التى تشرح الصدر الحزين . .

فاذا أصبح الصباح كنت اجهل التلميذات بدروسى ، فيعاقبنى الاستاذ الهضيم الوجه بالركوع فى مقدمة الفصل ، ويحرمنى من وجبة الغداء ! فاضحى اضحوكة التلميذات ، ومثار هزئهن . وتمادى فريق منهن فصار يعابثنى ، ثم

يشكونى الى المشرفة ظالما .. فاضل طول ايام الاسبوع فى كرب شديد الى ان تأتى مرضعتى مساء السبت لتصحبنى الى البيت ، جنتى الموعودة . فادخله مشرقة الاسارير ، وقد انسيت بدخوله ما اشقانى فى البعد عنه . فاذا جلسنا للعشاء جعل أبى يسألنى عن مدى ما حصلت من العلوم ، ومن اللغة الفرنسية على الخصوص ، فقد كان الرجل يقطع من لحمه ودمه لينفق على تعليمى ، فحق له ان يستادينى الجد والاجتهاد ومضت الاسابيع تباعا ، وشبح الضنك تعالى دقاته على بابنا اسبوعا بعد اسبوع ، فأرى صدى تلك الدقات على وجه أمى وسحنة أبى ، واسمعه قوارع لاذعة يصبها أبى على رأسى وعلى رأس أمى المسكينة لسبب تافه أو لغير سبب على الاطلاق

وانحدر الرجل الى هاوية الشيخوخة الباكرة انحدارا سريعا ، بما اكل الهم من قلبه وما عب من دمه .. فلما اصابه البرد ذات يوم اودى به كما تودى الريح بالسراج ، فلم يمهل الا اياما معدودات . فقضت أمى اياما بعد موته لاتفقه ما حل بنا ، فقد استعصى على فهمها أن تصدق انه مات بتلك السرعة ، وتركها فى خضم الحياة وتركنى بلا سند ولا معين . وما غوضر أبى قبل اوانه حتى انشقت الارض عن دائنين عدد الحصى والرمال ! فاضطررنا الى الخروج لهم عن كل شئ ، وصرنا بلا مأوى ، وبلا مورد يمسك علينا اودنا وماء وجوهنا .. وكانت أمى تشكو ضعفا عاما وانحطاطا شديدا فى قواها لا شفاء منه الا بتغذية جيدة بتنا ولا طاقة لنا بها .. فكاننا على شفير هار .

وفى تلك المرحلة القاسية من حياتنا اقبلت علينا

«أنا فيودروفنا» ، وفتحت لنا صدرها ، زاعمة ان لها مالا يغفل عليها ما يفيض عن حاجتها ، وانها من ذوات قربي ابي ، فهي مسئولة ان تجنبنا ذل المسغبة . وظهرت من الرقة لنا ما عطف قلبينا نحوها ، وكيف لا ، ومثلنا ومثلها كمثل الارض الموات والسحاب المطر الغدق .

فلما دعتنا الى الاقامة في بيتها لبينا الدعوة ، لانه لم يكن عن تلبيتها محيص .. وانتقلنا الى منزلها في حي « فاسيليف » ذات صباح مقررور الانفاس ، مشعشع بأشعة الشمس وكأنما اصابته حرارة الشمس في ذلك اليوم فترة .. فكان وقع خطانا ، وبكاء امي وهي تنقل خطاها الى جوارى على اتساق مع الطبيعة المكتئبة ، فأحسست كأن يدا باردة تعصر قلبي بين جنبى حتى لتكاد تستل روحي .. لقد كنا على ابواب من داخلها العذاب الاليم .. ولكن لم يكن لنا بد من الدخول ، فدخلنا ..

في الليلة الظلماء

وما كان لنا حين نزلنا في دار « أنا فيودروفنا » إلا أن نحس الوحشة لتبدل الالف وتحول الحال ..
وكان بيتها عبارة عن خمس حجرات ، تعيش في ثلاث منها « أنا فيودروفنا » وابنة عمتي ساشا ، وساشا فتاة يتيمة لطيفة ، مات عنها أبواها فتكفلت بها « أنا » . فأقمنا نحن في الحجرة الرابعة . أما الحجرة الأخيرة - وهي التي تجاور حجرتنا - فيكتريها من « أنا » طالب علم شاب رقيق الحال اسمه « بوكروفسكي » ..

والحق أن « أنا » كانت تعيش في بحبوحة لم تكن من قبل نحسبها تنعم بها ، وإن كان مورد معاشها ما يزال حتى ذلك الوقت سرا من الاسرار . فهي لاتنى عن الحركة والخروج بضع مرات كل يوم ، وتستقل العربّة كلما خرجت . وإذا لم تخرج ظل الضيوف يتدفقون على بابها في زيارات خاطفة قد لايزيد بعضها على دقائق معدودات تقضيها في التهامس مع زائرها بنجوة عن الأذان .. وكانت أمي تحرص على الذهاب بى الى حجرتنا الخاصة كلما رن جرس الباب . فيبدو من ذلك امتعاض على وجه « أنا » ، لأنها كانت تحب أن يرانا الناس في ركبائها لتزهو باحسانها إلينا .. وحفزها هذا الترفع منا الى مخاشنتنا ... فهي تزهو علينا وتمتن ، وإذا جلسنا للطعام جعلت تحصى علينا بنظراتها القاسية اللقيمت التي تطاوعنا افواهنا على التقامها فاذا ثارت كبرياؤنا يوما ولم تواتنا الشهوة للطعام ، ثار ثائرها وعزت ذلك الى ترفعنا عن الطعام لتواضعه ، وما به من تواضع .. وانما هو شعورنا بالضععة والهوان .

وكم من مرة نبشت قبر أبى بلسانها السليط ، مطمئنة الى

اننا لا نملك لعدوانها دفعا . فالدمع متنفسنا الوحيد من ذلك الضيق الجاثم على صدرينا .

ولم نجد لنا مخرجا من ذلك الضنك الا العمل ، فاخذنا ننقل بين البيوت للحياكة فيها ، مع مافي ذلك من ارهاق لامى التى يزداد هزالها يوما بعد يوم لعلنا ندخر شيئا يكفل لنا الاستقلال بمعيشتنا بعيدا عن «آنا» وبيتها المنكود . . فأتى هذا العمل المضنى على البقية الباقية من عافية والدتى ، وباتت تهوى الى قضائها بين سمعى وبصرى ، فلا أستطيع لها شيئا . . وماذا تستطيع عاجزة فقيرة امام سطوة الجوع والمرض ؟

ومضت الايام اشباها في قتامها وملالتها وثقل خطاها . ومن أين يأتينا الشعور بالتغير ؟ لقد كنا نعيش بمعزل عن الدنيا قاطبة ، فكاننا لسنا من أهل المدينة التى تموج بالناس وتضطرب بالاحداث . بل اننا صرنا اقرب الى اعتزال « آنا فيودورفنا » لانها طامنت من غلوائها لما رأتنا خاضعتين لها لا نفكر فى دفع الاذى عنا او مناقشتها فيما ترمينا به او تنوش به ذكرى أبى . وكان يفصل حجرتنا عن حجراتها الثلاث دهليز صغير ، فكاننا فى جناح مستقل لا يشتركنا فيه الا الطالب الفقير « بوكروفسكى » .

وكان « بوكروفسكى » يلقي ابنة عمى « ساشا » دروسا فى اللغة الفرنسية واللغة الالمانية والتاريخ والجغرافية وسائر العلوم فى مقابل المسكن والمأكل ، لانه لا يملك موردا للعيش الا تلك المهنة الشاقة .

واقول انها مهنة شاقة ، لان « ساشا » التى لا تعدو

الثالثة عشرة من عمرها شيطانة خبيثة لا تفرغ لها فنون من
العبث والمناورة ..

وقد ألعت « آنا فيودروفنا ، لامي اننى احسن صنعا لو افدت
من هذه الدروس المجانية ، مادام موت أبى قد حال دون اتمام
دراستى ، فرجبت والدتى بهذه الفكرة ، وكذلك بدأت حقبة
دراسية تعلمت فيها على يد « بوكروفسكى » وزاملت فيها
ساشا مدى عام كامل ..

وقد كشفت لى هذه الدروس عن حقيقة معلمى ، فاذا هو مثلنا
فقير معدم .. واذا المرض وال فقر قد اجتمعا على بنيته الضعيفة،
فلا يتاح له المواظبة على حضور دروسه فى الجامعة .. حتى بات
نعتة بالطالب أثرا من آثار العادة لا تقريرا من تقارير الواقع .
ولم أر فى حياتى شخصا فى مثل هدوئه وحيائه الشديد .
ولعل مرد هذا الى خزيه من فاقته وزراية مظهره .. فكان هذا
الارتباك الذى لا يفارقه فى كلام أو مشية أو تحية يثير ضحكى
كلما رأيته ، فلا أستطيع مغالبة الضحك وان اجتهدت فى كتمان
طاقتى .. ولا سيما ان « ساشا » الحبيثة لا تكف عن تدبير المعالبات
والنكايات أثناء الدرس .

وزاد من استثارته للضحك والمعاينة انه كان سريع الغضب ،
يصرخ لأتفه اثاره ، وكثيرا ما كان يقطع الدرس وينصرف الى حجرته
غاضبا ونحن نضحك منه ملء شدينا .

واكثر وقته كان يقضيه فى حجرته منصرفا الى القراءة فى
كتبه الكثيرة . فكل ما كان يحصله من اعطاء الدروس الخاصة فى
بيوت الطلاب كان يشتري به ما يقع فى نفسه من الكتب بالغا
ما بلغ ثمنه ..

فلما انقضت فترة من الوقت تكشف لى هذا المظهر الخادع عن
حقيقة لا تشبهه الا مشابهة النقيض للنقيض : فاذا نفس نبيلة وقلب

سرى ، واذا فتى هو أخلق الناس بالتقدير وأولاهم بالفضل والكرامة
 فيمن عرفت طول حياتي ، فأضحى أصدق أصدقائي بعد أمي .
 وقد تفتحت عيني على هذه الحقيقة بعد عماية حمقاء تخبطت
 فيها مسوقة اليها بقدوة «ساشا» الرعناء : ففيما نحن نسخر منه
 ذات يوم وقد أخذتنا نشوة المعابثة والحفة والتلذذ بمراى
 هذا الفتى مغيظا نائر الاعصاب، ترقرق الدمع في عينيه من فرط
 ما شعره من القهر ، وقال في صوت يختلج فيه البكاء الحبيس،
 وكأنه يحدث نفسه :

— رباه ! ما أضرى الشر في نفسيكما أيتها الصغيرتان !
 فكانما نفذت كلماته الى شفاف قلبي ، فشعرت في تلك اللحظة
 بفداحة جرمي، وخجلت من نفسي خجلا شديدا . وقلت له في توسل
 صادق والدمع يكاد يخنقى :

— هديء روعك ، ولا تغضب فما قصدنا اذاء شعورك . فلا
 تؤاخذنا بسفاهتنا وألق علينا بقية الدرس
 ولكنه أبى ، وأقفل الكتاب ثم انصرف الى حجرته غاضبا ، فبقيت
 سائر ذلك اليوم نهبا للندم والاسى ، لاننا أذللنا كبرياءه حتى
 دفعناه الى البكاء دفعا .

ولم أذق في ليلتي تلك طعم النوم الى أن طلع الصباح . فما أذكر
 ليلة أشأم من تلك الليلة فيما مر بي . . .
 وانى لأعجب ممن يزعم ان الندم يغسل الحوبة ويسرى عن النفس
 ما تجده من تأثم ، ويرفع الحرج عنها . . . فما وجدت شيئا من
 ذلك حين تنفس الصبح عن ليلتي الليلاء . . . ولعل شيئا من العزة
 قد خالط ندمي . فقد أذنى ان يرانى طفلة مثل ساشا وأنا فى
 الخامسة عشرة من عمري .

ومنذ ذلك اليوم صار شغلى الشاغل تبديل تلك النظرة ،
 والعلو بمكانتى واعتباري عن ذلك الدرك الذى ترديت فيه بعشى
 السخيف . . .

صورة أتب

وأراني مسوقة في هذا الموضع من مذكراتي الى الكلام عن أعجب من رأيت من الناس وأدعاهم الى السخرية والاشفاق في آن واحد .
واذا كنت لم أجر قبل هذه الساعة له ذكرا ، فما ذلك الا لانني لم اتنبه لوجوده من قبل . . اما وقد بات يعنيني بين عشية وضحاها كل أمر له بأستاذي « بوكروفسكي » صلة ، فذلك الشيخ الغريب الاطوار اهل لدى لكل رعاية واهتمام . .

فقد كان يلم ببيتنا بين الحين والحين شيخ قصير القامة ، زري الملبس ، أشيب اللحية ، ضاو ، متخبط الحركات . . فهو معجز في غرابة شخصية وشذوذ هيئته . فالذي يقع في النفس لاول وهلة انه امرؤ رازح تحت وفر من الحزى ، فهو ضيق الصدر بنفسه التي بين جنبيه يتمنى لو وارهاعن الناس ! انه يمشى متسللا لائذا بالجدران كي يوارى من شخصه ما استطاع . ولكن حركات وجهه واشاراته الشاذة كانت تلفت اليه الانظار ، وتوقع في الاذهان انه انسان مسلوب العقل .

وكان هذا الشيخ اذا جاء الى بيتنا لا يجسر على الدخول من الباب الزجاجي ، بل يبقى في الدهليز الخارجي محاذرا أن يندعنه صوت ، فاذا اتفق مروري به أو مرور ساشا أو أحد الخدم ممن يأنس فيهم الميل اليه ، حيا بحنى رأسه دون أن يتكلم ، وأشار بيده اشارات تدل على الرغبة في الدخول مع التوجس من وجود الغرباء . . فاذا أشير اليه أن ليس ثمة غريب بالدار وانه لا مانع من دخوله ، أقدم على اجتياز « العقبة » وقد سرت في وجهه علامات البشر والحبور ، واتجه من فوره الى حجرة « بوكروفسكي » لا يلو على شيء . . فذلك الشيخ أبوه . . وقد عرفت بعد ذلك دقائق تاريخ هذا الشيخ المسكين . فقد كان موظفا في ديوان من دواوين

الدولة ، ولكن افتقاره الى الذكاء واللباقة والحزم قعد به عن الرقي ، فبقى حيث بدأ خاملا مغمورا . ولما ماتت امرأته الاولى - والده بوكروفسكى - سولت له نفسه أن يتزوج من فتاة تنتمى الى الفئة الدنيا من الطبقة الوسطى ، فكانت هذه الزوجة الجديدة فاتحة عهد جديد من الارتباك الشامل والازمات الشداد تتوالى وتزاحم على منكبى الزوج الضيق العقل المطموس البصيرة والشخصية .
فهي امرأة مستبدة ، شكسة ، سليطة اللسان جموح .

وكان بوكروفسكى يوم بنى بها أبوه طفلا لا يعدو العاشرة من عمره ، فسامته هذه المرأة القاسية سوء العذاب ، حتى أخذت الشفقة به سيدا من سراة التجار طالما شمل بوكروفسكى الاب بعطفه فأولى الغلام اليتيم الام رعايته ، وأدخله القسم الداخلى فى احدى المدارس على نفقته الخاصة . واسم ذلك السيد الاريحي الكريم « بيكوف » : وسر عطفه على الغلام أن بيكوف قريب « أنا فيودروفنا » التى ربت أم بوكروفسكى فتاة الى أن زوجتها وكانت بائنتها خمسة آلاف روبل ، خرج عنها السيد بيكوف من حر ماله صدقة خالصة ..

ولست أدري ما صنع الدهر بهذه الآلاف الخمسة من الروبلات ، فمبلغ علمى عن هذا الموضوع ما صرحت لى به « أنا فيودروفنا » اما « بوكروفسكى » نفسه فلم يكن يحب الخوض فى حديث أسرته وماضيها .. واذا صدق ما بلغنى عن جمال أم « بوكروفسكى » الباهر ، فما أعجب اقدامها على الزواج فى بكرة صباها القصير - من رجل فيه من البلاهة والقماء ما فيه .. على فقر وكهولة .. وان لم يكن عجيبا أن تسوء صحتها بذلك الزواج ، فتموت فى ابان شبابها قبل الاوان .
.. وواصل بوكروفسكى دراسته موفقا فيها الى أن دخل

الجامعة ، وكان السيد «بيكوف» يحضر الى بطرسبورج بين الحين والحين فيشملة برعايته ويزوده بما يلزمه من المال .. حتى اذا عاقته صحته عن مواصلة الدرس فى الجامعة ، قدمه الى « أنا فيودروفنا » وأوصاها به خيرا ، فأنزلته فى بيتها وكفلت له فيه المأوى والمأكل مقابل تعليم الحبيثة « ساشا »
أما والده الشيخ فزادت حاله سوءا ، وأفضى به الحزن والهم لما تصبه زوجه على رأسه من جام العذاب الى ادمان الخمر ، حتى بات لايفيق .. كانما قد كان ينقصه هذا الداء الويل ليضيف الى نقائصه نقصا جديدا ..

فلما أدمن الشراب زادت امرأته نكالا ، وصارت تضربه ولا تسمح له بالنوم الا فى المطبخ ! حتى أصبح الضرب عنده صنو الخمر ، يتقبله منها دون مقاومة ودون استياء !
وقد عجبت هذه الارزاء بشيخوخته ، فهو أصغر بحساب الايام والسنوات مما يبدو للناظرين ، ولكنها آفاته الشداد ، أسلمته الى الهرم وبلغت به أعتاب الجنون ، وأخذت تدق له بابه دقا عنيفا فهو أشبه الناس بالدواب والبهيم ، لولا عاطفة انسانية واحدة تسمو به عن ذلك الدرك ، هى حبه لولده « بوكروفسكى » حبا لحد له . .

ويقال ان « بوكروفسكى » يشبه أمه شبيها غريبا ، فلعل ذكرى تلك الزوجة المفقودة هى التى تلهب مشاعر الرجل المفجوع بها مرتين : مرة لفقدائها ، ومرة لما أصيب به حين استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ..

ومهما يكن من شئ ، فالذى لا شك فيه ان الشيخ كان مولعا بولده ، فلا حديث له الا عنه .. ولا ينقضى اسبوع دون ان يأتى لزيارته مرتين . واحسبه لم يكن يزيد عليهما لانه كان يعلم ان ولده لا يرتاح الى وجوده معه . واظن ازدراء الفتى لابييه كان

أبرز أخطائه ونقائصه طرا ٠٠ بيد ان الانصاف يقتضينا ان نقرر الواقع : فالشيخ كثيرا ما يستنفد ببداياته وسماحته صبر كل صبور ، وما اكثر ما يصرف ولده عن عمله او يقطع عليه جبل قراءته بحديث لا ترابط بين حلقاته واسئلة لامعنى لها ولا طائل تحتها ٠٠٠ يضاف الى ذلك كله انه قد يأتى لزيارته مخمورا .

وقد حاول الشاب ان يشنى والده الشيخ عن عاداته الوبيلة ، وان يصرفه عن الفضول والثروة ٠٠ حتى افلح فى حمله على التزام الصمت التزاما تاما ، فلا يفتح فمه الا حين يأذن له فى الكلام .

وما كان هذا الاقلاق عن عادات طال عليها الامد ، واتصلت جذورها العميقة بنقصه النفسانى المزمن ، ممكنا لولا سلطان الولد على أبيه . فالشيخ معجب بأبنه أشد الاعجاب ، وهو عنده مثل أعلى أو قبس خارق من عالم الارباب ٠٠٠ فلا يدخل عليه الا متطامنا متضائلا كال مستغفر . وبعد تردد طويل فى الدخول ، فاذا لقينى فى الدهليز استوقفنى ليسألنى عن احوال ولده سؤالا فى اثر سؤال ، حتى لقد يطول بنا ذلك الحديث ، او التحقيق ، ربع الساعة او عشرين دقيقة . تدور كلها حول حالة الفتى الصحية ، وما يشغله فى هذا الاوان ، أهو الكتابة او التفكير فى موضوع فلسفى ؟ وهل مزاجه معتدل ؟ حتى اذا طمأنته وشجعته استخار الله فى الدخول ٠٠ فيفتح باب الحجرة ويطل منه برأسه . فاذا مارأى من ابنه بشاشة الانس والترحيب ولج الباب على أطراف اصابعه ، ثم خلع معطفه البالى وقبعته التى انتشرت فيها الثقوب وكاد البلى يفصل سقفها عن جوانبها ، مخافتا من حركاته كمن يخشى ان يوقظ نائما خفيف الجفن ، ثم اتخذ لنفسه مجلسا يكمن فيه مثبتا نظراته فى ولده ، حتى لاتفوته شاردة ولا واردة من حركاته وقسماته وكلماته . فاذا

لمح فيه ما ينم على الانقباض والازورار نهض من مقعده منصرفا متعللا بأنه لم يكن يريد الزيارة، وانما قد عن له ان يمر بأبنة في طريقه مرور استطلاع ، وكيماستريح برهة قصيرة لانالموضع الذى يقصده بعيد الشقة ٠٠٠ ثم يتناول قبعته ومعطفه ويخرج كما دخل فى هدوء ، وعلى شفتيه ابتسامة يصطنعها ليخفى عن ولده ماشاع فى نفسه من الاسى

اما اذا احسن الفتى استقبال ابيه وهش له ، فما تكاد تتسع له الدنيا من شدة الفرح ٠٠ فللسرور فى مقلتيه فيض من اللآلأ لا يعهد فى نظرتهما الكابية وللبهجة فى حركاته خفة واتساق ٠٠ فاذا ماوجه اليه ابنه الكلام تحفز للنهوض من مجلسه واجابه فى نشاط تمتاز به الرقة والتواضع والاكبار الذى يكاد يدخل فى باب العبادة والتقديس فيتخير الفاظه تخيرا يشق عليه فلا يستطيع استعملها فى مواضعها على وجهها الصحيح ، فتخرج العبارات من فمه آية فى الفكاهة والطرب ، وما قصد الى فكاهه أو طرب ٠٠٠ وتستبد به الحيرة حينئذ ، فلا يفتأ ينقل يديه لا يدري اين يخبئهما ، فعل الجانى المتلبس بجريمة يثقل عليه وزرها ٠ ثم ينتهى به الامر الى اللعثة والهمس ، ويتصبب وجهه عرقا ، خزيا مما انتهى اليه امره « بن يدي « معبوده ٠٠ أما اذا اتفق له جواب لائق أو عبارة سائفة ، فما اسعده بهذا التوفيق الذى يملأ له فى الاستطراد ، فلا يحار اين يخفى يديه ، وانما هو يسوى بهما رباط عنقه ، ثم يثبتهما فى جيبى صدره مزهوا بنفسه ٠٠!

وقد يتماذى فى هذه الاحوال فى الثقة بنفسه ، فيتجاسر على الوقوف والتمشى فى الحجرة ، ويمد يده الى كتاب من كتب ابنه فيقلب صفحاته متكلفا الهدوء والاطمئنان ، كان بشاشة ولده هى القاعدة المألوفة ، وكان انطلاقه على سجيته فى حجرة ولده عادة له جارية ٠٠

ولكنى شهدت مبلغ ذعر الشيخ وقد نهاه ابنه ذات يوم عن لمس كتبه وأوراقه ، فبادرالى وضع الكتاب الذى كان بيده فى مكانه ، فوضعه لاضطرابه مقلوبا ، فتناوله مرة اخرى كى يصحح وضعه ، فاذا به يضعه فى هذه المرة وفتحتة الى الخارج! فأخجله هذا الخطأ الجديد ، واحمر وجهه احمرارا شديدا ، وحارفى نفسه كيف يخفى جريمته ..

فبهذا السلطان استطاع « بوكروفسكى » الشاب ان يقوم من اعوجاج ابيه الشيخ ، وكان اذا رآه ثلاث مرات تباعا صاحى الفؤاد غير ثمل اعطاه نصف روبل او اشترى له حذاء او رباط عنق او صدارا ..

وما كان اعظم فرح الشيخ بهذه العطايا ، التى يتيه بها مزهوا ، وقد يدخل حجرتنا ليرينا اياها ، حاملا الينا شيئا من الحلوى او التفاح مما افاء عليه ابنه ثمنه ٠٠٠ وليتحدث الينا عن مزايا ابنه ماشاء له الله ان يتحدث

وكانت أمى - رحمها الله - تحب الشيخ وتعطف عليه كثيرا فكان الشيخ يأنس اليها .. أما « أنا فيودروفا » فكان - لواطاق - يولى منها فرازا وقد امتلا منها رعبا ، لولا انه يخشى نقمتهها وغضبها ، فيظل بمحضرها ما أذنت له فى البقاء صامتا مطرقا ..

برج الخفاء

لم تطاوعنى نفسى على متابعة الدرس على يد بوكروفسكى، فقد تحليلت امامه بالرزانة والعقل، وحملت « ساشا » على الاقلاع عن الاعيبيها ومعايشتها حتى بات استاذنا الشاب ناعم البال لا يعكر صفوه منا معكر، ولكنه مافتى ينظر الى نظره الى طفلة لم تبلغ الحلم، وكل ما طرأ عليها من تغير انها كانت طفلة عابثة لاغية، فأضحت طفلة هادئة رزانا وهى فى حالها ما تزال طفلة . ولم تجد معه محاولاتى الكثر فى لفت نظره الى ما امتاز به على « ساشا » من صبا وسن تسلكنى فى عداد الشابات الاوانس .

ولكن هذه المحاولات لم يكن امامها متسع غير ساعات الدرس فما كنت اجد فى نفسى جرأة على خطابه فى غير تلك الساعات، فما المحه فى البيت رائحا أو جاثيا حتى يحمر وجهى ويجف حلقى فيلتصق به لسانى وتبرد اطرافى فلا أنبس بينت شفه . فاذا فاتت فرصة السلام او الكلام اسرعت الى ركن قصي أنتبذه لا بكى فيه خيبتى وسوء حالى . .

ولست أدري حتام كان هذا الحال قميناً ان يدوم، لو لم تسنح فرصة من سوانح العناية فتكشف ما كان بيننا من حجب، وتقرب بين قلبينا على غير انتظار

فقد كانت امى ذات ليلة فى حجرة « أنا فيودروفنا » لشأن لها أو لسمر، ولم يكن بوكروفسكى فى البيت، فدخلت الى حجرته متلصصة على اطراف اصابعى، وقد استولت على رغبة قاهرة لاعقل لها ان استطلع خفاياها بنجوة من الرقباء . فقد كان يلقى علينا الدروس فى حجره ساشا، ولم اكن قد دخلت حجرته الخاصة على تقادم العهد على جيرتنا نيفا وسنة . .

وما دخلت من الباب حتى الفيت قلبي يدق داخل ضلوعي
دقا عنيفا متداركا حتى لقد خشيت ان ينفطر او ينشق ..
ولكن ذلك الوجيب لم يصرفني عن التطلع في فضول شديد الى
كل ماحولى ، فاذا اثاث متواضع جدا ، تزيد الفوضى الضاربة عليه
من حقارته وضعته : فعلى المقاعد والمائدة اوراق مبعثرة ، وعلى
الارض اوراق اخرى وكتب واضابير . فقفز الى خاطرى
شعور جد اليم غمر وجدانى فى تياره الطاغى : فقد قر فى نفسى
ان هذا الفتى لا يمكن ان يرى فى صداقتى وحبى مقنعا له وغنى عن
كل حب وصداقة ، فهو عالم واسع العلم والثقافة ، بعيد مرمى الفكر
والقريحة ، وانا فتاة جاهلة اوفى حكم الجاهلة ، لا يكاد مآقراته
يستحق الذكر ، فما اذكر اننى قرأت كتابا برمته من الدفة الى
الدفة ..

ووقفت وسط هذا الطوفان من الكتب أنقل بينه بصرى ،
وأرمى بنظرات الحسد رفوف المكتبة التى تكاد تنوء بما تحمله
من الاسفار الثقالة .. ورأيت نفسى وقد تقسمها الاسى والحسرة
والغضب الجائح الذى يحفزنى الى العمل ، اى عمل يخرج بى
عن هذا الموقف الاليم .

وكان اول ما عن لى ان اقرأ هذه الكتب جميعا ، من اول كتاب فيها
الى آخر كتاب ، لا اترك منها شيئا ولا افرط فى شيء ، فى غير
وئاء ولا ترفق .. فلعلنى اذا انا فرغت من قراءة كل ماقرا ، اكون
كفئا لحبه وصداقته ..

وهجمت على أول رف من رفوف المكتبة ، فتناولت اول كتاب
فيه دون تدقيق او رغبة فى التحرى والانتقاء ، فاذا سفر
قديم اصفرت اوراقه وعلاه الغبار فحملته مضرجة الوجنتين خافقة
القلب واجفة وانطلقت به الى حجرتنا وانا احسب اننى قد

وقعت على كنوز قارون ، وفي مرجوى ان اقراء على ضوء الذبالة
الساهرة ، اذا ماسجا الليل ونامت عين والدتي .
وفتحت الكتاب فى حجرتنا قبل ان اضعه فى الدولاب ، فاذا
شئ خاب له رجائي العظيم : فما كان ذلك الكتاب الا مجموعة
نصوص لاتينية لا افقه منها شيئا ، فأسرعت به الى حجرة
بوكروفسكى قبل فوات الاوان . وما هممت بوضع الكتاب حيث
كان حتى سمعت فى الردهة وقع اقدام الشاب عائدا الى حجرته .
وكانت الكتب الاخرى قد احتلت مكان الكتاب الذى اخرجته من
بينها ، فأسرعت فى افساح مكان له والخوف يهزنى هذا شديدا
من ان يفاجئنى بوكروفسكى متلبسة بالجريمة الدامية ، فاذا بالمسما
الذى يمسك الرف الى الجدار يتداعى ، كأنه كان ينتظر هزة
يدى انا الشقية حتى ينوء بما كان يحمله زمانا طويلا دون كلال
فوقع الرف وتناثرت الكتب على الارض . فلو ان قبيلة
انفجرت بين قدمى لما كان لها أهول من وقع هذه الاسفار
وضجتها المكتومة .

وفى هذه اللحظة انفتح الباب وبرز منه بوكروفسكى . وكنت
اعلم مبلغ حرص الشاب على كتبه ، فالويل لكل من تحدثه
نفسه ان يمسها بخير او بشر . فناهيك اذن بما استولى على
من الفرع فى تلك اللحظة ، وقد تناثرت كل تلك الكتب ، فاخذت
تتراقص تحت المائدة والمقاعد ، وفيها العماليق والاقزام ،
والاشياخ والاطفال والسمان والعجاف . . .

لقد وودت ان اولى الادبار فرارا من هذا الموقف الشديد ، ولكن
أين المفر ؟ لات حين فرار ! وحدثتنى نفسى ان هذه الفعلة
حرية ان تثبت فى ذهن الشاب ظنه بى ، اننى لست الا طفلة
لاغية لاهية ، تعبت بكل شئ متى أمنت عين الرقيب ، فهى قاصرة
القفل خاسرة مفسدة !

~~~~~ **برح الخفاء !** ~~~~~

وقد صبح ماتوقعت : فما ان مضت لحظة صمت كأنها الدهر
أو ساعة من يوم الحشر ، حتى انفجر مرجل غضبه وانشأ يعنفنى
ثم انحنى على الارض ليجمع ما انتثر من كنزه الثمين ، فانحنيت مثله
أجمعها ، فصاح بى فى هياج شديد :
- اليك عنها ... فلا تتعبى نفسك فيما لا ينبغى لك . وكان
خيرا لك قبل هذا الا تدخل مكالما لم تؤذنى فى دخوله ولم يدعك
الى دخوله صاحبه !

فلما رأى خجلى وصمتى وتألمى خفت حدة غضبه ، واستطرد
بعد حين فى لهجة أقل حدة وعنفًا :
- أما آن لك ان ترعوى ؟ اما آن لك ان ترشدى وتتجنبى
أفاعيل الصغار ؟ ألم تحسى انك قد عدوت طور الطفولة ، فأنت
الآن فى الخامسة عشرة يافتاة ؟!

وكانما أراد ان يستوثق من صوابه حين قال انى بلغت
الخامسة عشرة ، فرجع بصره فى قامتى علوا وسفلا ، فاذا تلك
النظرة تسكب فى وجهه وأذنيه طوفانا من دم الحجل والحياء !

ولم ادر لاول وهلة ماذا اصابه من هذه النظرة التى تفحصنى
بها وانا واقفة امامه فاعرة الفم أحملق فيه فى دهش وارتباك
مما فعلت ، فاذا به ينهض ويتقدم نحوى - ولا تزال حمرة الخجل
تطل من أديم وجهه - فيتمتم ويبرجم كلاما لم افقه منه شيئا ،
لعله يكون اعتذارا عن حديثه او عن غفلته عن نماء عودى
واستواء قدى حتى ذلك الاوان . ولكن نور الحقيقة غمر سريرتى
على حين غرة فوعيت مالم أع من قبل ، واحمر وجهى بأشد مما
احمر به وجهه ، حتى أطاش الحياء والخفر ما كان لى من جأش وبديهة
فغطيت وجهى بيدي وانطلقت أعدو هاربة الى غرفتى .. هاربة
منه ، ومن نفسى ، لو ان الى الفرار من نفسى سبيلا ...

بارقة رجاء

رباه أين أخفى عنه وجهي وأستر عن عيني عاري ؟ لقد
وجدني - أنا الآنسة الناضجة الصبا - في حجرته ، وهو الشاب
العزب . وتلك لعمرى كبيرة الكبر . . .

. . . ومضت ثلاثة ايام لم أخرج فيها من غرفتي ، حتى
لا يراني بوكروفسكي ، وكنت اذا سمعت خطوه خارجا او داخلا
غامت بالدمع عيناى لفرط ما يندفع الى وجهي من الدم الدافق الحار
ثم اخذت تراودنى افكار اتأملها الان فأجدها غريبة سخيصة
مضحكة ، ولكنها كانت وهى مستولية على تبدو لى وجهيه واجبة
الاداء . . . فقد هممت مثلا اكثر من مرة ان أتوجه الى غرفته
لاشرح له حقيقة دوافعى لزيارة غرفته أثناء غيابه ، فلا يذهب
به الظن الى ما لم يكن من همى ولا خطر لى على بال ، فأى محنة
لوجدانى أن يحسبنتى طفلة تعبت بما ليس لها أن تمد يدها اليه ،
أنا التى ما أقدمت على هذه الفعلة الاطمعا فى الارتفاع بمكانتى
عنده . .

وددت لو عرف الحقيقة حتى اكبر فى عيني . ولكن شجاعتي
خانتنى وقعدت بى عن تحقيق ماراودتنى عليه نفسى . . الى أن
مرضت والدتى بعد بضعة ايام مرضا شديدا الزمها فراشها
يومين . فلما كانت الليلة الثالثة غشيتها الحمى حتى اسلمتها
الى الهذيان . وكنت قد سهرت الى جوار فراشها الليلة السابقة
فلم يغمض لى جفن ، حرصا منى على خدمتها وقضاء حوائجها واعطائها
الدواء فى أوانه الموقوت ، فلم أستطع فى هذه الليلة مقاومة
النعاس ، ولم تطاوعنى نفسى على الاستسلام له ، فبقيت على مقعدى
يتقاذفنى الوسن واليقظة ، ويكاد اعينى الشديد ينتهى
بى الى الاغماء . . . فما اغفو برهة حتى يوقظنى انين امي

المدنفة ، فاهب من نومي فزعة وافتح اجفاني الثقال لحظة ، ثم يغلبني التعب والكرى فاقفلها واغوص في غيبوبة مالها من قرار .

وطالت نوبة نعاسي آخر الامر ورأيت فيما يرى النائم حلما اقض نومي ، فانتبهت مذعورة مبهورة الانفاس ، فاذا ذبالة الصباح تجود بانفاسها الاخيرة ، وقد خيمت الظلمة على الغرفة ، فخيّل الى انها امتداد محسوس لحلمي الفطيع ، فقفزت من مكاني واطلقت صرخة ندت عنى دون أن أعى . . . فاذا بابنا يفتح في تلك اللحظة ، واذا « بوكروفسكي » يدخل منه .

ولست اذكر الان من تلك الليلة الا انه كان يسندني بذراعه عندما استفتقت من غشيتي وثبت الى نفسي ، فأجلسني في رقة وعناية وقدم لي قدحا من الماء ، ثم اخذ يمطرني وابلا من الاسئلة . ولا ادري بم اجبته ، فانه تناول يدي في يديه وقال لي : - اراك مريضة ، مريضة جدا ، فحرارتك مرتفعة . . . واحسبك تنزلين بصحتك ضررا محققا بما ترهقين به نفسك من خدمة والدتك وتمريضها . فارقدى الان واستسلمي للنوم ، وسأوقظك بعد ساعتين .

فلما هممت بالاعتراض ، قال في الحاح المترفق : - لا تتكلمي . استريحى وهدئي من نائرة اعصابك المتوترة قليلا . فهذا الزم ما ينبغي لك الان . وكان الاعياء قد استنفد مقاومتي ، فما سمعت كلماته تلك حتى اقفلت اجفاني ونمت مضطجعة في مقعدي ، وفي عزمي ان استيقظ بعد ساعة او اقل من ساعة . . ولكنني نمت حتى الصباح ! فلم يوقظني بوكروفسكي الذي سهر على أمي تلك الليلة الا حين أن أن أسقيها جرعة الدواء . .

وأصبت فى ذلك النهار قسطنطين الراحة ، ليسعنى ان أسهر
فى الليلة التالية على والدتى مصممة على مقاومة الوسن حتى
مطلع النهار . ولكن ما سجا الليل حتى طرق بوكروفسكى
باب غرفتنا ، وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة ، ففتحت
الباب ، فاذا به يقول لى فى لطف ورفق :

— لقد خطر لى انك قد تسأمين الوحدة فى سهرتك ،
فاتيتك برفيق انيس ، هو هذا الكتاب ...

فتناولت الكتاب من يده وانصرف ، ولست اذكر ماذا كان
عنوان هذا الكتاب ، ولا احسبني فتحته ، وإن كنت قد قضيت
ليلى تلك ساهرة لم اذق طعم الكرى ، فقد كان ضميرى مسرحا
لشعور غامض ولكنه جياش ذادعنى الوسن وأبقى وعيى مركزا فى
بؤره مشاعرى المضطربة الامواج

بيد أن ذلك الاضطراب الذى سهدنى كان من العنف
بحيث أقضى مجلسى ، فلم أستطع التلبث فى معقدى على استقرار ،
فما اكثرت ما قمت اتمشى فى الحجرة على اطراف اصابعى .

ولكن حاشا ان يشتبه هذا القلق بما يورثه الحزن والهم من
اضطراب وأسى . كلا ! فقلقى تلك الليلة قلنى جلوا ، مرده الى
فيض السعادة التى امتلأت بها جوانحى حتى ضاقت عنها ، فراحت
تنشد لطاقتها الفائضة مخرجا فى الحركة ، ولولا مرض امى
لتلمست متنفسا لها فى الغناء . فقد سرتنى اهتمام بوكروفسكى
بشأنى ولمست قلبى « لفتة » حتى ملأتنى زهوا ، وفتحت لى
باب الاحلام الذهبية فرحت اعب منها تلك الليلة ما وسع خيالى
الخصيب ان يسعف روحى الظما بالاكواب المترعة بعد الاكواب من
نبيع تلك الاحلام ورحيقها المصفى

وقد صمد خيالى لظما روحى ، فظل ساهرا معها يسقيها كؤوس

الاحلام حتى مطلع النهار . فلم يطرق بوكروفسكى الباب طول الليل سائلا او متعللا بالسؤال وكنت اعلم انه لن يفعل ، ولكنى كنت سعيدة ، وكنت راضية بالانتظار الى المساء التالى ، واثقة انه سيعود حينئذ الى السؤال والعطف ...

... وجاء المساء التالى ، ووقف بوكروفسكى بباب غرفته يعالج فتحه بمفتاحه ، وكان باب حجرتى مفتوحا فحياتنى وسألنى عن حال امى وعن حالى . ولست اذكر عبارة واحدة مما تبادلنا من الحديث ليلئذ ، فقد كان الحياء يفتت اعصابى ويمزق اوصالى ويشل وعيى . حتى لقد استعجلت نهاية هذا الحديث الذى بت ليلتى وقضيت سحابة نهارى احلم بدنو ساعته ! أهذا هو الحب ؟ ماذا فيه اذن مما تصرخ اعماق النفس فى طلبه وتشهيه ؟

كلا ! انه ليس حلو المذاق ، وليس كالشهد المصفى ، ولكنه مع هذا منية القلب وطلبه الروح ... وليس من دليل على هذا اكبر من ان تلك الليلة بالذات كانت بداية صداقتنا الصريحة الصافية ، فكان عينا وضيقنا واضطرابنا فى الكلام بمثابة اوجاع المخاض التى ولدت تلك الصداقة الجميلة الطاهرة ... وبتنا نقضى كل ليلة من ليالى مرض والدتى الطويل بضلع ساعات فى صحبة ناعمة الى جوار فراشها ...

وتكفلت الليالى المتعاقبة بالقضاء على فيض حياتى ، ومهدت أمام عقلى الطريق الى رباطة الجأش والسلوك المتزن ... وان كنت قد بقيت على ما اعهدته فى نفسى من الشعور بالتخلف عن السمات اللائقة .

وقد أثلج صدرى ان اراه يهمل كتبه المعبودة لديه فى سبيل

الجلوس الى والعناية بأمرى وامرامى من اجلى ... فتفتحت نفسى
لصدافته وزادت ثقى بها .

وفى ذات يوم جرنا الحديث الى حادث المكتبة التى عبثت بها
فى حجرته حتى وقعت الكتب على ارضها ، فاذا بموجة من الصراحة
تجرفنى فى تيارها ، فأصارحه بالحقيقة كاملة ، ولا اكتمه ان
دافعى الى ذلك العمل هو رغبتى الملحة فى تثقيف عقلى حتى تتغير
نظرتى الى فأعدو عنده طور الطفولة الى مرحلة انداده من الشباب .
وانها لجراة منى لا ادرى كيف ولا تنى ، ولكن صداقتنا
كانت من الصفاء بحيث تقتلع الحواجز والاستار ولا تبالى
القيود والتقاليد والمواضعات .. فاعترفت له بالحقيقة والدموع
تتلا فى عينى ... وصارحته بما كان يعتلج فى اعماقى من
رغبة قوية فى كسب مودته ، بل فى حبه ومزج حياتى بحياته .
وكان بوكروفسكى يصغى لى وهو مبهور ، فلم ينطق بكلمة ،
حتى خيل الى انه لم يفقه ماقلت له . او انه يسخر منى فى طوايا
سريره ... فسرت فى نفسى موجة من الكآبة عاتية ، وطفرت
الدمع من عينى ، ثم اجهشت باكية ، كما يبكى الاطفال فى غير
احتجاز .. ثم انقلب البكاء الى نشيج يتفزز منه جسدى كله
وتختلج به جوارحى ، فتناول راحتى بين راحتيه ، ووضعها
فوق صدره ، ثم غمرها بقبلاته فى رقة وحنان ، وجعل يناجيني
فى صوت هادى عطوف .

ولست اذكر الان ماذا قال لى حينذاك ، ولكنى اذكر تمام الذكر
اننى جعلت أبكى وأضحك وأنا اسمعه طورا بعد طور ، وان
الحمرة والاكفهرار كانا يختلفان على وجهى .. وان الحرارة
والبرودة كانتا تصطرعان فى اطرافى ، وان الكلمات هربت
من فمى حتى لقد شككت فى وجود لسانى ...

وعداً من روعى وسكن من طائرى ان بوكروفسكى جعل
يبادلنى ودا بود ، واتقاد عاطفة باتقاد عاطفة ، وانجاب عنه
الذهول لما فوجيء به من عاطفة لم يكن يتوقع لها وجودا فى
حنايا صدرى . فسرت حرارة النشوة الى كيانى ، وادفأت قلبى
المقرور ، وبت ناعمة بسعادة لم اذق من قبل لمثلها طعما . ولم
اكتمه مبلغ سعادتى بحبه وقربه فزادنى هذا الاعتراف من قلبه
قربى ، فنمت محبته لى على الايام ، بل على الساعات ، نماء
متصلا مطردا .

وما كانت احاديثنا فى تلك الليالى الحلوة شيئا مما يدون او
يذكر ، فهى سمر تافه الموضوع ولكن النور الذى كان يدفع
قلبيننا كان يشرق على تلك الاحاديث فنحسبها وضـيئة
مشرقة البيان .

لقد كانت تلك الاحاديث جدولا رقيقا يتدفق من نفسينا فى غير
تعمل او تكلف . وفى ذلك التدفق الجميل الصافى سر عنوبتها
وشجائها ، وحسن جرسها وصداها ، وطيب عرفها وريائها
فهى اصدقاء نفسين تتفتحان بعد طول احتباس ، وتشرقان بعد
ظلمة وطول تخبط والتماس . . وما زالت تلك الاحاديث التى
طوى عهدا الزمن الساطى نورالى - على ما تثيره من الالم عندى -
كلما حزبنى أمر وتكاثرت على الاحزان . .

*

... وتماثلت أسمى للشفاء ، ولكنى بقيت على عادة السهر
بجوار فراشها ، فكان بوكروفسكى يمدنى بالكتب اقرؤها فى سهرى
فكنت اقرؤها اول الامر ذودا للنوم عن اجفانى ، ثم صرت
اقرؤها تشوقا الى المعرفة وتلهفعا على الاطلاع . . فقد فتحت امامى
افاق جديدة لم اكن احس لها من قبل وجودا ، وبت ارى
وجدانى يزداد على الايام عمقا واتساعا وغنى .

بارقة رجاء

فلما برئت امي من علتها وغادرت فراشها ، انتهت ليالى
السهر والسمر ، واصبحت فرصة الحديث امامنا لا تسنح الا خلصا
قصارا لا تنقع غلة ولا تشفى اوارا .. وانما هو السلام
وما يلحق بالسلام من مبتذل الكلام .. بيد انى كنت احس
لتلك العبارات العابرة طعما غير طعم سائر الكلام ، لان الفقر
فى زاد حبنا الخارجى كان هينا علينا بما فى قلوبنا من زاد
لا ينفد ، وما فى نفسينا من غنى روحى وطمانينة لا تقوى عليها
زعازع الحرمان ...

عيد الحبيب

... انقضت على هذا النسق جملة اسابيع ، ثم حضر بوكروفسكى الاب لزيارتنا ذات صباح ، واخذ يجاذبنا اطراف الحديث ، فى جذل وخفة رشيقة لم نعهدهما فيه من قبل ، فكانت لحديثه طلاوة فكهة اشاعت السرور فى نفسه ونفسينا ... ثم كشف لنا عن موضوع زيارته فاذا عيد ميلاد « بتينكا » (وهو اسم التدليل لبوكروفسكى) يحل بعد اسبوع ، وانه ينوى ان يزور ولده فى هذه المناسبة محتفلا بها فى هئلامه وبزقة اكبر احتفال مستطاع ، فيرتدى صدارا جديدا ، وينتعل حذاء وعدته زوجته ان تشتريه له ... وقد استخفته هذه الاحلام الساذجة حتى لم يعد يستطيع كتمانها فى صدره ، فجاء الينا لنشاركه فى نشوتها لما يعرفه من مكانة ولده لدينا ، انا وامى

ولم يدر بخلد الرجل انه احدث فى نفسى اثرا عظيما بهذا الخبر فلم يهدأ لى من بعده عيش لكثرة ما فكرت فى هدية اهديها اليه ، تذكره بصداقتى الراسخة العميقة الجذور فى قلبى . ولم يهدنى التفكير الى هدية اليق به من كتاب او مجموعة كتب . وكنت اعرف انه كان يشتهى اقتناء مجموعة بوكشين الشاعر كاملة فى طبعتهما الاخيرة ، فعزمت على شرائها لتكون هديتى اليه . وكنت ادخر ثلاثين روبلا ، لاشترى بها لنفسى ثوبا جديدا فارسلت طاهيتنا العجوز « ماترينا » لتسأل عن ثمن مجموعة بوكشين الكاملة ، فاتضح ان الاجزاء الاحد عشر لا يقل ثمنها مجلدة عن ستين روبلا ، فحرت كيف ادبر بقية هذا المبلغ ، وكرهت ان اطلب من والدتى شيئا ، حتى لا يفتضح فى البيت كله امر الهدية قبل موعدها ، وقد يساء فهمها فيظن انها بمثابة أجر عن دروس عام كامل تلقيتها عليه مع « ساشا » وذلك أمر لم يجز لى بخاطر ،

عيد الحبيب

لانى لا أريد قضاء ذلك الدين ، استبقاء ليدى على ، فالايادى دين
ثقيل ، ولكنها اذا كانت ممن نحب كانت اعز ما يحرص الانسان
عليه وآنس ما يأنس اليه .

وجدت لى مخرجا آخر الامر من هذا المازق ، فقد تذكرت ان
من الوراقين من يبيع الكتب المستعملة ، وفيها كتب تكاد
تكون جديدة ، بثمان بخص دراهم معدودات . فلما كان الغد خرجت
لاشتري لى بعض حوائجها ومرت بدكاكين اولئك الوراقين
ومعى طاهيتنا « ماترينا »

واسعدنى الحظ فعثرت دون بحث طويل على مجموعة
بوكشين مجلدة تجليدا فاخرا ، فاذا به يطلب ثمنها لها سبعين
روبلا ، جعلت تتضاءل بالمساومة حتى هبطت الى خمسة وثلاثين
روبلا ، تزيد على روبلاتي الثلاثين بمقدار خمسة روبلات ، فحرت
ماذا افعل ، وكدت ابكى قهرا ، والرجل لا يلين ولا يتزحزح . . .
والطاهية العجوز تضرب كفابكف لما ترى من جنتى المباغته باقتناء
الكتب . .

وهممت ان انصرف قانطة حسرى ، لولا اننى رأيت فى هذه
اللحظة رجلا لم يجلب بخاطرى ان أراه فى ذلك المكان قط ، هو
بوكروفسكى الشيخ ، ومن حوله خمسة وراقين يتنازعونه العروض
وهو حائر لا يدرى ايها ياخذوايها يدع . . فما أحسبه يدرى عن تلك
السلع الادبية شيئا ، فناديته ، فخف الى مسرورا بلقائى وقال لى
انه بسبيل شراء كتب يهديها الى ولده فى عيد ميلاده . . وكانت
ميزانية تلك الهدية لاتعدو ستة روبلات ، فقنع لذلك بالسؤال
عن قيمة الكتب الصغيرة الحجم ، أما الكتب الضخام الجسم فلم
يجرؤ على السؤال عنها وان ظل يرمقها بنظرات الحسد والكمد
والاشتهاه ! ثم رأيت دمه تترقرق فى عينيه وتنساب على خده

المتغضن في صمت ، فسحبته من يده وقلت له ما انا بصددده ،
وطلبت منه روبلات خمسة استكمل بها ثمن اعمال بوكشين
الكاملة في احد عشر جزءا جميلة التجليد ، لنقدمها هدية مشتركة
بيننا الى « بيتنكا » ، فكاد يجن جنون الرجل من شدة الفرح ،
وأدى المبلغ وحمل الكتب في خفة الشباب وانطلق بها الى بيته ،
واعدا ان يأتيني بها غدا في الحفاء

فلما كان الغد دخل علينا الشيخ ، ثم همس في لذني انه
استودع الكتب « ماترينا » لتحفظها في المطبخ الى الوقت
المعلوم . ثم أفاض في الحديث عن هديتنا وكيف نقدمها ، وكأنه في
تصوراته تلك مراهق يحلم بوصل عروس احلامه اللعوب ! فما
أكثر ما راجع التفاصيل وعدل منها مرة بعد مرة ، وانا اصغى
اليه صامته مستمتعة بنشوته الابوية الحانية . . واذا بذلك كله
يتلاشى على حين غرة ، لترسم على معارف وجهه كآبة شديدة ،
وسكت لحظة ثم قال :

— اسمعى يا بربارة الكسيفنا. خذى انت عشرة اجزاء فقدميها
اليه هدية منك مستقلة ، اما انا فساقدم اليه الجزء الحادى عشر
هدية مستقلة منى . وبذلك يهديه كل منا شيئا على حدة .
— ولكن لماذا عدلت عن مشاركتى فى هدية واحدة على الشيوع بيننا ؟
اليس ذلك أجمل وأولى ؟

— كلا يا بربارة . فانا رجل كثيرا ما اضل عن الطريق السوى
فيلحاني باتينكا ويوبخنى ويعظنى ولكنى رجل ضعيف امام الغواية ،
وقد تصطلح على الهموم مما تصبه امرأتى على رأسى ، ويتآمر
البرد مع الهموم فيدفعان بى الى حان أراه فى طريقى وكأنه يفتح
دراعيه وينادىنى نداء حوريات الماء التى تفتن سامعها فلا يستطيع
لها دفعا ، فاشرب حتى أثمل . . فأحببت بتقديم هذا الجزء هدية

مستقلة منى ان اقيم له الدليل على استقامتى ، فلو لا اننى ادخرت
 دريهماتى ولم انفقها فى حبائل الشيطان لما استطعت تدبير ثمنها
 وسيدرك باتينكا اننى ما فعلت ذلك الا حبا له واستجلابا لرضاه
 فشعرت بشفقة شديدة على هذا الشيخ المسكين الذى رده
 شقوته الى سداجة الطفولة ، وقلت له :

— قدم له أنت الاجزاء الاحد عشر جميعا يا زكريا بتروفتش !

— كلها ؟ كيف هذا ؟ أقدمها على أنها هدية منى أنا وحدى ؟

— طبعا ..

فسكت لحظة ثم قال فى صوت كأنه صوت حالم ينطق وهو

غاف :

— كم يكون ذلك جميلا ! ولكن ماذا تقدمين أنت يا بربارة ؟

— يا زكريا بتروفتش • ان هديتى ان اراك سعيدا بما اهديت

الى ولدك ، وان ارى ولدك سعيدا بما اهداه ابوه • ويكفينى ان

أسعد فى قرارة نفسى بأن هذه السعادة التى غمرتكما قد قدمتها

وصنعتها يدي فى الخفاء !

فاقتنع بتلك الحجة ، ومكث عندنا ساعتين لا يستقر فى مكان

من فرط الفرح والانتعاش ، وكأنه طفل صغير وعده ابوه بنزهة

فى حديقة الحيوان ، فهو يداعب ساشا وكأنه من لداتها ، ويتغنى

بما يعرفه من الاناشيد ، ثم يميل فوقى فيقبلنى خلسة ، او يقرص

ذراعى • فما رأيت فى حياتى أحدا استخفه الفرح كما استخف

ذلك الشيخ يومنا هذا •

فلما حل اليوم الموعود حضر الى بيتنا فى تمام الحادية عشرة ،

عقيب انتهاء الصلاة فى الكنيسة نظيف الهمدام حسن الزينة •

فدخل علينا وفى يديه لفافتان من الكتب ، فوجدنا مجتمعين

عند « انا فيودروفنا » لاحتساء القهوة على عادتنا يوم الاحد •

فبدأ بالكلام عن بوشكين ، فذكر انه شاعر من خير من نظم القوافي
 باللسان الروسى ، ثم تلغثم وارتج عليه فلم يدر كيف ينتقل من
 تلك المقدمة الادبية الى صلب خطبته ، فترك محاولة التمهيد
 ودخل فى الموضوع منوها بفضائل الاستقامة ، وان البغى يحيق
 بأهله ، وضرب لذلك الامثال مثنى وثلاث ورباع ، ثم اختتم
 مقالته بأنه تاب واناب وترك الضلالات والمفاسد منذ حين ،
 واستجاب لرغبة ولده المحبوب فصار من القوم الصالحين ..
 فهو لا يحتسى الخمر ولا يتشهاها فافاء ذلك عليه صحة وطمانينة
 نفس ، وافاده يسرا فى المال بعد عشرة واتاح له ان يهدى ولده
 الحبيب تلك المجلدات الحسان بما ادخره فى زمن توبته الاخير ..
 وقد وجدت عناء شديدا ، فى مغالبة ضحكى اول الحديث ثم
 فى مغالبة دمعى فى أخراه ، فما أبرعه فى الكذب حين يقتضى
 الحال منه أن يكذب ، ولكن باعث الكذب شعور جميل يلمس
 كل قلب للرحمة فيه موضع وللحنان عنده معنى ..
 وحمل الشيخ هديته الى حجرة ولده ، فوضعها على رف المكتبة .
 ثم دعونه الى الغداء معنا فقبل الدعوة جذلان ، وقضى معنا
 سحابة النهار فى سعادة غمرتنا جميعا بأشعتها الدافئة .
 واحسب بوكروفسكى قد ادرك الحقيقة لا لولهة ، فقد كان دائم
 اللطف والرعاية لى ، وكانت فى عينيه ومضات رقاق . وما اكثر
 ما تلمس الفرصة كى يحدثنى على انفراد ، ولكنى كنت افوت عليه
 ما يريد ، رائفة منه روغان التدلل والانتشاء بأفاويق السعادة التى
 حفل بها يومنا الفريد كأنه الغرة فى جبين الدهر ..
 لقد كان يومى ذاك اسعد ايامى فى سنوات اربع من حياة طالما
 خيمت عليها ظلمة الشقاء ..

رياح الخريف

لقد سعدت سحابة نهار أقصى مايسعد به أبناء الفناء . ولكن
سعادات دنيانا « سحائب صيف عن قريب تقشع » ..
مضت أيام الهناء المشرقات ، وخل وشيكا شبح الكتابة الذي
أراد الله أن يرين على أيامي بعد ذلك ، حتى وقتنا هذا ..
و كأنما استشعر القلم في يدي انه لم يبق أمامه من كلام يسطره
الا مايقطر حزننا ويثير اللوعة والحسرات .. فقدنا ثقل الحركة ،
بطيء الخطو ، كالمشفق مما سيخطه في صفحة القرطاس .
لقد هبت رياح الخريف الباردة الهوجاء فبددت دفء أيامي
وقوضت صروح أحلامي ، كأنها بناء من الرمال ، فاذا بها ذرات
في قبضة الهواء ، وهباء ضائع في خلاء ..
وكانت فاتحة تلك الاحزان علة بوكروفسكى التى ألزمتها الفراش
حينما ، ثم أسكنته رمسه الى يوم يبعثون .
فقد قضى بوكروفسكى أسابيع تباعا يبحث عن عمل ثابت ،
فلم يجد الا وظائف التدريس وأعمال التداوين ، وهى كلها
مما لا تسمح له صحته الواهنة أن يزاولها .. فقد كان
بوكروفسكى مصابا بذات الصدر منذ سنوات ..
وأضناه هذا البحث الدائب عن العمل ، ولكنه لم يلق الى ضعف
صحته بالا ، حتى أقبل الخريف ، وليس لديه ما يكفل له الدفء
الواجب فى روحاته وغدواته . وصار أيسر الماء يجد من نعليه
الباليين منفذا الى قدميه .. وهو لا يكثر لشيء من هذا فى سبيل
الحصول على عمل وطيد .
له الله ! لقد كان ذلك المصدور الشاب متعلقا بالحياة كبير الآمال
فى بقاء طويل .. ولكن الداء لم يترفق بآماله الكبار ، فالزمه
فراشه ذات يوم فلم يبرحه بعد ذلك أبدا الا فى صندوق مقفل ،
الى حفرة فى الثرى ، فى أخريات اكتوبر ، ورياح الخريف الهوجاء

تصفر في الارض الخلاء كأنها عزيف الجن أو أنات تاكل محزون .
لزم بوكروفسكى فراشه ، ولزمت أنا جواره لأبرحه مدة
رقاده وضناه ، فكم من ليلة قضيتها الى جانب سريريه ساهرة
العين ، مؤرقة الجفن ، واجفة الفؤاد .

ولم يكن كامل الوعى فى جميع أحواله ، فما أكثر ما كان يهذى
بكتبه وأوراقه ، وبالعمل الذى ينشده فلا يعطاه ، وبأبيه . .
وبى أنا . . فعرفت من هذيانه ما لم أكن أعرف من خبايا حياته .
وكان من فى البيت يرموننى أول الامر بنظرات العجب والانكار ،
ولكنى لم أغض الطرف ، فما كان فيما آتى شىء أخزى له أو
أغضى ، فتركونى وشأنى وسلموا بحقى فى السهر على هذا المريض
المنكود . .

وزادت وطأة العلة عليه يوما بعد يوم ، فصار لا يفيق من هذيانه
ويثوب الى رشده الا لما . . . فنهاره أنين ، وليله فزع وهذر
محموم ، يناجى ربه أو يناجى نفسه ، أو يتحسر على مافاتنه من
طلاب ، أو يندم على ما فرط منه من هفوات الشيباب . وهو فى
نجواه لا يستقر من رعدة ، ولا يهدأ من تفرز ، فكانه لديدغ مشف
على الهلاك . فكانت «آنا فيودروفنا» تضرع الى الله أن يرفع عنه هذا
العذاب ويخلصه من نزعه الاليم فيضمه اليه . .

ودعونا الطبيب ذات مساء ، فقال ان المريض قد دنت نهايته ،
وانه ملاق قضاءه المحتوم زهاء الصباح من غد . فقضى بوكروفسكى
الوالد الشيخ تلك الليلة قائما فى الردهة أمام باب ولده المحتضر ،
وكان يدخل عليه فى الحين بعد الحين ليلقى عليه نظرة جامدة . .
فقد أذهل الجزع الشيخ وسلبه ذمء نشاطه وحيويته ، فهو متبلد
الحس كالمعتوه لا يحير قولا ، ولا يملك نفعا ولا ضرا . . وإنما هو

يسر الى نفسه كلاما لامعنى له ولا اتصال بين اطرافه .. حتى
لقد خيل الى أن الاب المسكين قد أصابته جنة أو مسة خبال .
وقبيل الفجر غلب التعب جسداً الشيخ فنام على طريجة من
الحشايا بسطت له فى الدهليز، فلما وافت الساعة الثامنة، وبدأت
غبرة الموت تسطو على محيا ولده أيقظته ليودعه الوداع الاخير .
وكان بوكروفسكى فى تلك اللحظة التى يهبها الله للذاهبين
اليه من عبادته ، فودعنا جميعاً فرداً فرداً ..

فيا الهى ! ما كان اشقانى ، وما كان أشد فجيعتى حتى لكان
نصلاً تعملها يد سفاح فى شفاف قلبى .. ولكنى مع هذا لم أجد
فى عيني قطرة دمع أذرفها ، لعلها تطفىء بعض ما أجده من أوار
الفراق ..

وخانه لسانه بعد حين ، فكان يحاول الكلام فيلتوى عليه الكلام،
فيشير بيديه فلا أفهم ما يريد ، فجعلت أقرب منه كل شئ فى
الغرفة ، وأدنى منه كل انسان فى البيت ، ولكنه كان يهز
رأسه سلماً .. حتى فهمت أخيراً ما كان يعنى .. ففتحت مصراعى
النافذة ، وأزحت عنها الستار ..

فالشباب المسكين المتعلق بالحياة وما يمثله كل جميل فيها كان
يشتهى أن يلقي نظرة أخيرة على نور الشمس ، والافق البعيد ،
والسماء المشرقة بأضواء الصباح :

ولكن ميهات ! ان الدهر أبى عليه حتى هذا المطلب الاخير ،
الزهد .. فقد كانت السحب تغطى صفحة السماء ، وكانت
على الارض عتمة قابضة ، وفى الجو قتام ينذر بالمطر ، ويفرى
بالبكاء .. بكاء الناس ، وبكاء السماء ..
ورمقنى الفتى المحروم بنظرة تقطر أسى واكتئاباً ، وهز رأسه
فى اذعان وجيع ..

ثم مات ..

عندما يموت الفقراء

مات بوكروفسكى فى ضحوة النهار ، فنشطت «أنافيدوروفنا» لتجهيزه ، حتى تغادر جثته بيتها فتخلص من مصدر ضيق لوبقى هناك لا قرض مضجعها . ومن عساه كان يهتم بالفتى الفقير ؟ والده المذهول المذهب بلبه ؟

وما كان تجهيزه أمرا عسيرا : فان هو الا تابوت بسيط من أرخص أنواع الخشب ، وعربة نقل اكترتها بأرخص ما وسعها أن تكتريها . ولم تنس أن تتعوض عن هذه النفقات بالاستيلاء على كتب الفقيد وجميع ممتلكاته الشخصية ، وما هونها . .

وقد اعترض الوالد المفجوع ، فمخلفات ولده تذكارات مقدسة فى نظره ، ولكن اعتراضه لم يجده قتيلا ، لولا انه ثار وأنشأ يصرخ ، فخافت «أنافيدوروفنا» العاقبة ، وتركت له من المجلدات ماتشبت به كالمجنون . فصاريملا بها قبعته البالية ، وجيوبه . يا للأب المسكين ! لقد احتفظ بتلك الكتب فى جيوبه وفى قبعته ثلاثة أيام لا يفارقها ، حتى وهو فى الكنيسة . . وما أحسب نفسا رآته يوم وفاة ولده الا ذهبت حسرة على هذا الشيخ المرزوء : فقد كان يروح ويجىء فى حركة لا تفتر ، فاغر الفم ، شاردا النظر كمن يسير فى حلم ، وله حول التابوت تطويق لا هدف له ولا غاية ، فهو يحف بمثوى ولده لانه لا يستطيع عنه حيالا ولا زيالا ، ويسوى منه ما لا يحتاج الى استواء ، ويترقق بلمس خشب التابوت ويربت عليه كأنه يحس منه الملاينة والحدب . . أو يضئ الشموع ويقوم ما عوج منها بفعل الحرارة ، ويعيد ترتيبها حول التابوت كى تكون أتم زينة وأحسن نظاما . . ولم يكن فى الكنيسة أحد سوانا ، فقد عاق المرض أمى عن الحضور ، وأما «أنافيدوروفنا» فأحنقها شجارها مع بوكروفسكى الشيخ وأحفظها عليه فبقيت مع أمى . . فكننا ثلاثة فى الكنيسة بين يدى الله :

الجسد الذى يصلى عليه ، والوالد الثاقل ، وأنا . . فلما بدأت الصلاة الخافتة وأخذت اصداؤها ترن فى الكنيسة الخالية غامت فجاء نفسى ، ورائت عليها كتابة لاحد لها ، كانها نذر المستقبل القاتم الذى كان ينتظرنى بضربات الشداد وفواجعه التى تفتت الاكباد وتقرى الاجلاد . . ولقيت عننا شديدا فى البقاء الى نهاية الصلاة المبتسرة التى كانت كل ماليت من الفقراء فى ذمة خدام الله ورعاة عهد الناصرى المولود فى مزود بقر ، والذى عاش بلاماوى حيث للطيور أوكار وللضواري كهوف وأوجار . .

فلما أحكموا على التابوت غطاءه ، ودقوا فيه المسامير بدقات من المطرقة غير مترفقة بسكون البيعة وجلال الموت ، حملوه الى العربية ، فانطلق بها السائق ليلوى على شئ وصحبته راجلة الى نهاية الشارع الصغير ،

فما أن بلغنا هذا الموضع حتى ساط السائق جياده فغذت السير خبيبا ، وأخذت العربية تبتعد عنا ، فجرى الوالد المفجوع وراءها ماظاوعته ساقاه الضعيفتان وهو يجاز بالبكاء بأعلى صوته ، ونشيجه الثائر الحمم يترجع فى صدره ويتقطع مع اهتزازات جسمه وهو يعدو .

وسقطت قبعته من فوق رأسه ، فلم يتلبث ليستعيدها ، بل تركها حيث هى على الارض واستأنف الجرى ، ولعله لم يحس بسقوطها . . وبلل المطر المنهمر رأسه العارى ، وأخذت الرياح القارسة العنيفة تهرا وجهه . . فما أحس لذلك كله وقعا ، وهو يجرى كالمجنون حافا بالعربة عن يمين أو عن شمال ، باكيا بلا احتجاج ، والرياح ترفع أطراف ثوبه وأذياله فكانها أجنحة سود بسطها ملك من ملائكة العذاب فى وادى الحشرات من فجاء سقر .

عند ما يموت الفقراء

وكانت الكتب تساقط من جيوبه وهو يجرى ، فلم يبق له منها
الا سفر كان يتشبث به في يديه تشبثا غير واع . . وكان هذا
الموكب الصغير ، أصغر مواكب الموتى وأبسطها وأفقرها على
الاطلاق ، كلما مر بأحد من الناس أثار اللوعة والاسى في قلبه فرسم
على صدره علامة الصليب

وعند منحني الطريق لقيت الموكب سائلة عجوز كانت تستندى
الاكف ، فما رآته حتى لحقت به وأنشأت تجرى بجوار الشيخ
وراء العربة المسرعة ، التى لم تأخذ سائقها شفقة بهذا الاب
الشيخ الذى هد العدو قواه ، فالراحة والمجاملة سلعة لا يقوى
على ثمنها الفقراء . . أما السائلة المعدمة فأدركت مبلغ مامنى به
هذا الفقير من الشقاء ، فأسرعت تشاركه فى ثمالة الكأس دون أن
تعرف من هو . . وما جدوى من هو ؟ لقد كفأها انه مسكين ،
وانه يتلقى الرزء الفادح وحيدافى الحياة ، لانه مثلها . . انسان
فقير .

وغابت العربة عن نظرى ، فعدت الى البيت وارتيمت على
صدر أمى ، وقد استولى على يأس قاتل . . وأخذت أقبلها وأضمها
الى صدرى ضما عنيفا ، كأنما لاحس اننى لست وحدى ، ثم
وضعت رأسى على صدرها وبكيت بكاء طويلا ، وذراعى حول
عنقها . . كأنما لاصونها من فقدان وأمنع عنها يد العفاء التى
انتزعت منى صديق روحى . .

ولكن هيهات ، هيهات ! فان ملك الموت الاسود كان يحوم
حولها وينتهز الفرصة المواتية للانقضاض . . .

رباه ! ما اظلم أيامى . .

عود على بدء

١١ يونية

من لى بشكرك يا مقار الكسيفتش على ما اتحت لى من الهناء
بتلك الساعات التى قضيناها معاً متنزهين فى أرباض المدينة وعلى
شيطان نهر النيفابين الماء والهواء والحضرة الياقة . . فما أبعد
عهدى بتلك المناظر الحسان .

لقد خيل لى أثناء مرضى اننى لن أرى الطريق مرة أخرى ،
فأنظر كيف كان شعورى وأنا أنعم بالنزهة بين النور والزهر
والماء النمر . . فلئن ذرفت دمعتين بين يديك أمس ، فلا
عليك ، فما هما الا من دموع الفرح الذى فاضت به جوانحى
. . ومن الاسى أيضاً يا صديقى فان سكون الاصيل ، وشمسه
المائلة الى الغروب ، وهدوء الطبيعة الرحبة الآفاق ، قد
أثارت فى نفسى روااسب الاشجان ولا يثير الاشجان والاحزان مثل
نقائضها من الافراح والمسرات .

تالله كم كنت كريماً يا صديقى ! . فقد شملتني بحدبك
وحنانك ، وطفقت ترنو الى عيني متعلقاً بهما ، كأنما تريد أن
تستشف مشاعري . وما كنت أبدي اعجابى بشجرة عتيقة أو
جدول رقرق ، أو طريق ملتو كالثعبان بين العشب المزهر ، الا
امتلات باعجابى بها زهوا ، كأنها ملك يمينك ، وكأنك رب الضيعة
الذى يشلج صدره أن يطرى الناس بستانه الموروث ! ألا ما
أطيب قلبك يا صديقى مقار ! ان طيبة قلبك خير ما فيك ، وهى
علة تعلقى بك وحبى لك .

والآن وداعاً يا صديقى ، فقد تعبت من الكتابة . . فبالامس
ابتلت قدماى وأصابنى من ذلك برد يسير أحس له اليوم فى بدنى
هزة . . وفيدورا مريضة أيضاً . .

لا تنسنى يا صديقى ، وتعال لزيارتى ما استطعت .
بربارة

١٢ يونية

يما تى العزيزة بربارة الكسيفنا !
لقد توقعت أن تأتينى منك قصيدة عصماء فى وصف نزهتنا
الرائعة ، فإذا صفحة قصيرة لا تنقع غلة الصادى .. ولكن عجباً !
لقد جمعت فيها فإوعيت ، ولم تفتك شاردة من مناظر ذلك
الريف الجميل . ولو حاولت ما حاولت لما كفتنى صفحات
وصفحات ، وهيهات أن أبلغ ما بلغته فى سطور معدودات .
وقد أثلج صدرى ما أضفيتها على من قلائد المديح ، وما ذكرته
من طيبة قلبى وصفاء نفسى .. وانى والله لكذلك !

وانى مجيبك الآن الى ما سألتنى مرارا من قصة حياتى . فقد
دخلت الخدمة فى سن السابعة عشرة ، وقضيت فيها حتى الآن
ثلاثين سنة ، أفدت فيها تجربة ، ونضجت فيها سننى ومشاعرى .
ولكن القدر سخر لى من تطوعوا للدرس لى والتهوين من قدرى ،
مستغلين طبيبتى وحبى للعزلة والاعتكاف ، فكل خطأ يقع من
أحد يسندونه الى ظلما ، وهذه يا أختاه ضريبة الطيبة ومحبة
السلام !

وكذلك بقيت كما كنت منذ ثلاثين سنة « نساخا » ، وكل ما
هناك اننى « نساخ أول » ، فخطى جميل ، وجميع أوراق
سعادة المدير أنا الذى أكتبها بيدي . وهو كما ترين عمل ليس
ذا بال ، وإن كنت أراه حسنا غير مهين . ولكن الناس يلقبوننى
« بالفار » لأننى أعيش دائما بين الأوراق ، وأدنيهها من وجهى
لضعف بصرى ..

لاكن اذن فأرا ، فأى ضير فى شبه الناس بالفيران ، أليس الفار

مما خلق الله في الدنيا لحكمة يعلمها سبحانه ؟
يؤسفني انني اندفعت هذا الاندفاع في الحديث عن نفسي ..
فعفوا يا يمامتي ، وعذري انك مصدر عزائي الوحيد في الحياة ،
فاليك أتجه بأحزاني ملتمسا سلوتي عند قلبك الكبير .
سأزورك قريبا يا عزيزتي ، وسأحمل اليك كتابا تتسلين
بقراءته أما الآن فوداعا

صديقك المخلص
مقار ديوفشكين

٢٠ يونية

عزيزي السيد مقار الكسيفتش

أكتب اليك على عجلة من أمري ، فلدي عمل يجب أن انتهى
منه اليوم . وقد سمعت من « فيدورا » بصفقة لم أحب أن
تفوتك بحال : فثمت كسوة موظف كاملة ، في حالة جيدة جدا
معروضة للبيع بثمان معقول للغاية . فلا تقل انك لا تملك شراءها ،
فقد قلت لي مرارا انك تدخل شينا للطوارئ . وليس الشح
مستحبا يا صديقي الى الدرجة التي تضن فيها على نفسك بزي
لائق . ألا تنظر الى صورتك في المرآة ؟ ألا ترى كيف خلقت حلتك
ونصل لونها ، وصارت للرقع فيها صولة وجولة ، حتى كاثرت
في مساحتها نسيجها الاصيل ! ولست أصدق أن لديك كسوة
أخرى جديدة ، وان كنت تكرر على مسمعي هذا الزعم في كل
مناسبة . فاتوسل اليك أن تشتري هذه الحلة يا صديقي ،
من أجل خاطري .

ثم ما هذا القماش الذي أهدتيه ؟ انه قماش غالي الثمن
ولاشك . وما أراك الا تكلف نفسك رهقا بما تغمرني به من
الالطاف ، وما أكلفك في نزعتي وعلاجي .. وما كنت بحاجة الى
هذا القماش الفاخر في الوقت الحاضر . فلماذا اشتريته ؟ اني
اثقة انك تعجنني ، وليس عندي في هذا شك ، وانه ليؤلمني أن

فحسبني بحاجة الى ما يذكرني حبك لى ، فاتوسل اليك أن تكف عن هذه الخطه يا عزيزى مقار
لقد طلبت منى أن أتم كتابة مذكراتى التى قرأت طرفا منها ، ولكنى وجدت ذلك عسيرا أليما ، فما حدث لى بعد وفاة أمى شديد الوقع على نفسى ، والجراح القريبه العهد وشيكاً ما تنتكى ، والنسيان - لو أطقته - مطلبى فكيف أسعى الى تجديدها بالذكر والتدوين ؟

لقد حدثتك فى آخر مقابلة لنا عن « أنا فيودوروفنا » وما قرمينى به من نكران جميلها وجود أيادها ، وتنكر ما أتهمها به من تواطئها مع السيد « بيكو » على الايقاع بى بين برائته . وتلح على أن أعود الى الإقامة فى بيتها ، على وعد منها ان تحمل السيد بيكوف على اصلاح خطئه ، بل جنايته التى جناها على أنا اليتيمة التى ليس لها فى الحياة معين .. فيهبني صداقا طيبا - كما وهب أم بوكروفسكى من قبل - كى أجده من يتزوجنى طمعا فى ذلك الصداق !

ولكنى أرفض هذا العرض ، وأؤثر البقاء حيث أنا الآن ، ناعمة بصداقتك ، وبصحبة « فيدورا » التى يذكرنى ولاؤها مرضعتى العجوز ، طيب الله ثراها .. وليس لتقولات الناس عندى أدنى اعتبار ، فانت قريبي - بعيدة ما بعدت صلة هذه القرابة - ولست أريد شيئا سوى هدوء البال ، وان يدعنى الناس وشأنى آمنة فى سربى .

بربرة

٢١ يونية

يمامتى وأختى العزيزة !

لست أدري كيف أبدأ الكتابة اليك بما أريد أن أخوض فيه . ألا يروعك يا أختاه نمط معيشتنا الراهن ، أنا وانت ؟ فما عرفت فى طول حياتى أياما أسعد من أيامى هذه ، حتى لكان الله قد من على بأسرة هائلة وبيت سعيد .. فانت يا فتاة طفلتى الصغيرة

المحبوبة ، ونور أيامي التي لم تعرف النور !
 فأى عجب اذن أن أبعث اليك شيئا من قماش أعجبني فاشتقت
 أن يكون عليك منه أربعة قمصان ؟ ثم لماذا تزعمين انك لست
 بحاجة اليه ؟ لقد علمت من « فيدورا » انك في ميسس الحاجة
 الى قمصان ، وما دمت ابنتي فأى شيء أحب الى الاب المحب من
 قضاء حاجات فلذة كبده ؟ فكيف اذن تريدن حرمانى من تذوق
 هذه اللذة البريئة أيتها القاسية ؟ ..
 أتعلمين اننى أخذت أشعر اننى أعيش حياتين وأحيا مرتين ؟
 فانت هناك ، وأنا هنا فى بيت يقابل بيتك .. فى بيتان اذن
 وروحان .. فانت روى يا بربرة لو تعلمين ..
 لقد سمعت منك مرة انك بحاجة الى حرير ملون للتطريز ..
 وغدا سأشتري هذا الحرير ، فانا أعرف أين يباع .. ودمت
 لصديقك المخلص

مقار ديوفشكين

٢٢ يونية

عزيزتى بربرة الكسيفنا .

لقد وقع يا صديقتى العزيزة فى بيتنا حادث مفرع جدير
 بأعمق عواطف الاسى والرثاء . فقد اختفت يد الموت فى نحو
 الساعة الخامسة صباحا طفلا من أبناء مدام جورشكوف الثلاثة .
 ولا علم لى بما كان يشكو منه ، فعلم ذلك عند الله وحده .. وقد
 زرت بهذه المناسبة غرفة جورشكوف وآله ، فى الله
 يا اختاه ! ذلك حقا هو الفقر المروع والشقاء المهين ! فالأسرة
 كلها تعيش فى هذه الحجرة الضيقة ، يفصل قسميها حاجز
 من قماش رقيق حفاظا على مقتضى الحياء .. وكانوا قد
 دبروا أمر التابوت ، فما رأيت أوجع للقلب من هذا التابوت
 البسيط ، الذى أعد لتطوى فيه نفس بلغت العاشرة من سنوات
 هذه الدنيا ، وبدأت تتفتح للحياة وتتطلع لافاويقها ، فنحيت الكأس

عن شفيتها وحيل بينها وبين نور النهار !

كان هذا الغلام معقد آمال أبويه المسكينين ، فقد كان ذكي
الفؤاد ، عطوف القلب وديعا .. فانهار الامل فى مطلع هذا
الصباح .

ولم تذرف الأم دمعة ، ولا أطلقت صرخة ، وانما هو الوجوم
الشديد ، فى مسكنة وقنوط .. وأحسب المسكينة لم تخرج من
حسابها ان موت ولدها قد حل جانبا من معضلتها اليومية
الكبرى : وهى اطعام تلك الحواصل الزغب ، حواصل بنيتها
الجياع ..

أجل ، لقد أقفل الموت فما من الافواه الثلاثة .. ولكن بقى
فمان اثنان ، ومازال الاشكال قائما ملحا .. فأى عذاب
يا الهى يسامه هؤلاء الناس فى كل يوم من أيام حياتهم النكراء :
فليس أوجع للقلوب من رؤية طفل يبكى جوعا ، وهذا الطفل
فلذة كبد المرء ولحمه ودمه ، وهو لا يستطيع له شيئا ، ولا يدرى
كيف يرد عنه غائلة الوحش الذى ينهش امعاءه الحاوية !

أما الاب الوالد ، فكان قابعا فى مقعده فى ثوبه الخلق ،
ودموعه تنساب على صفحة خده فى صمت .. ولعل تلك الدموع
لم تكن دموع الفجيعة ، فقد طبعت الفاقة المذلة عينيه بطابع
دامع على الدوام ..

وأما ابنته التى لا تجاوز السادسة فكانت متكئة فى وقفاتها على
التابوت ، تنظر الى أمام دون أن تنبس ببنت شفة .. وقد
استغرقها تفكير حزين .

رباه ! شد ما أكره أن يصمت الاطفال ويستغرقوا فى التفكير
قبل الاوان .. فما الطفولة الا لعب وانطلاق ، أما الكآبة يا الهى
فقطيع جدا أن يرمى بها الاطفال !

لقد عرضت عليها ربة الدار قطعة من الحلوى ، فلفظتها في
صمت وهدوء ، كأنها شيخ فان عافت نفسه طعوم الحياة
وحلاوتها المشتهاة .

ان هذا فظيع .. فظيع جدا يا أختاه

مقار ديوفشكين

مفردات الطرف

٢٧ يونيو

عزيزى السيد مقار

تؤكد لى فيدورا ان فى وسعنى ان احصل على عمل طيب فى اسرة فاضلة ، اقوم على تربية اطفالها الصغار ، فليس فى عمل القهرمانه عار . فما رايتك انت يا صديقى ؟ اقدم ام احجم ؟ ان هذا العمل سيرفع عنك عبء كفالتى ، وهو عبء اراه ثقيلًا اود من كل قلبى لوتخففت منه . ولكن قلبى لا يطاوعنى على الاطمئنان الى الحياة فى بيت غريب بين قوم غرباء . . . وانا اخشى الغرباء ، فاول ماسمعون به هو سؤالى عن ماضى حياتى ، وانا لا احب ان اكشف جراح قلبى لكل انسان . . ثم انت تعرفنى نفورا لا آنس الى الناس فى يسر ، ولست احب فراق من انست اليهم ، او تبديل ما الفتهم نمط الحياة . . وان الى ما هو خير . . .

يضاف الى ذلك ان هذه الاسرة تقطن حيا بعيدا عن هنا ، فاستشعر الوحشة لذلك البعديها الجار الصديق . وليس فى ظروفهم ما يشجع على الثقة بهم فقد استبدلوا بقهرمانتهم اخرى ثلاث مرات فى سنتين ، فقد يكونون من اهل الفطرسه او الغلظة وسوء الطويه

انى حائرة يا صاحبنى فاصدقنى النصيحة . ثم لماذا انقطعت عن زيارتى ؟ انى لم اعد اراك او اجتمع بك الا فى قداس يوم الاحد ، فيالك من معتزل نفور ! وانك فى هذا لصنوى . . ولكن تذكر انك من ذوى قرباى ، وان شعورى بالوحدة يثقل على صدرى . واشد ما يكون ذلك الشعور فى ساعات الفسق ، عندما تخرج فيدورا لشراء ما يلزمنا من السوق ، فاذا بخيالات الماضى تروود حولى ، حتى ليخيل الى انى اراها راي العيان . . . يا لله ما اشقائى بهذه الرؤى وانها لتنال من صحتى وعافيتى

ايما منال .. وها هوذا السعال المقض قد انتابنى كرة اخرى ،
حتى بت أشعر بدنو أجلى ..

فمن يا ترى سيعنى نفسه بتجهيزى ؟ من الذى سينتقى
لى التابوت ، ومن الذى سيدرجنى فى أثوابى ويزيننى للموت ؟ ومن
الذى سيسير خلف نعشى ويصحبنى الى مقرى الاخير ؟ ومن
سيبكينى ليرطب ثراى بدمعه ؟

هل كتب لى الله فى أزلى علمه ان أموت فى بيت غريب ، بين قوم
غرباء ، فلا يقوم على رحلتى الاخرة احد ، ولا يؤنس ليلتى
الاخرة فى الدنيا مدمع حميم ؟
الا تعسا للحياة ؟

بربرة

٢٨ يونيه

أختى الصغيرة بربره !

ما هذا الهذر الذى يبيض فى رأسك الصغير ويفرخ ، فيشقى
له قلبك فى غير مدعاة للجزع والعناء ؟ وكيف سولت لك نفسك
أن تتوهمين المرض الوبيل فى عارض تافه ؟ وما حدا بك الى
الاعتقاد بتداعى صحتك وذهاب عافيتك ؟ انى أراك على العكس ،
ريانة كالزهرة المونقة ، تنفج روحا وريحانا ، وأرى للعافية فى
وجنتيك واعطافك ماء يجرى ويكاد يتفجر بالقوة والشباب .
ثم ما هذه الاحلام البشعة يا أختاه ؟ اطرحيها من ذهنك ،
راقتدى بى فى استبدار ما يحزن ويسبب تلك الكوابيس الثقالة .
وما ذلك الحديث الذى تسوقينه عن العمل أجيرة فى بيت قوم
غرباء ؟ انه لراى سقيم وتفكير غير مستقيم ... فاستحلفك الا
تفكرى فى شىء من هذا القليل يا حياتى ، فماذا أفعل من بعدك ؟
اننى قمين ان أموت كمدا ، كما يموت السمك اذا اخرج من الماء
وماذا ينقصك فى حياتك الراهنة ؟ واى شىء يسخطك عليها
وينفرك منها ؟ ابقى حيث انت ناعمة البال ، ولا تكلفى نفسك

مشقة التفكير في شيء ، وسأتيك بكتب تقطعين بقراءتها الوقت .
وقد نخرج يوما للنزهة في أرباض المدينة ، كما خرجنا المرة السابقة
وسأتى لزيارتك قريبا ، ولكن على أن تعدينى أولا ألا تعودى الى
التفكير في هجر جوارى الى مكان مجهول بين قوم غرباء .
وانى لك على الدوام

الصديق الوفى

مقار ديوفشكين

عزيزى مقار !

كلا يا صديقى . كلا ! لم يبق لى بهذه الحياة طاقة ولا عندى
عليها صبر . فقد صح عندى أننى ارتكبت خطأ فادحا حين
رفضت العمل الذى أتيح لى بعيدا عن هذا المحيط الذى نعيش
فيه . . . فقد كانت لذلك العمل مزية لا مزية فيها ، فهو يضمن
لى على أقل القليل لقمة تقيم أودى وعيش كفاف لست أملك
له اليوم ضمانا بأى وجه من الوجوه . . . وكنت قمينة أن
أروض نفسى على وحشة الغربة ، وأن أحمّلها على ملاينة الناس
ومداراتهم . ولعل هذا كان أجدى على من الانطواء السخيف على
نفسى . .

وهل ترانى يا صديقى لا أشعر بما أكلف من يحبوننى من المشقة
والنفقة ؟ أجهل أن « فيدورا » العجوز تنهض قبل مشرق
الشمس كى تفسل ثيابى ، وتخدمنى ، وأنا عاجزة عن خدمة
نفسى بما يشغلنى من التطرير وأنبوات المرض ؟ وهل أجهل أنك
تحمل نفسك ما لا تطيق من النفقات فى سبيلى ؟ وإذا كان
لديك الآن شيء من المال لأنك كوفئت مكافأة استثنائية كما
قلت لى ، فماذا تراك فاعلا حين ينضب ذلك المعين الموقوت . . .
وأنا معتلة الصحة ، لا تفرغ لى حاجة الى دواء أو كساء ؟ . .

لقد آن لمرضعتى العجوز أن تستريح ، وأن لك أنت أيضا
يا صديقى أن تستريح من هذا العناء . . وليس لكما من سبيل

الى الخلاص سوى أن التحق بالعمل في بيت كريم ..
فلماذا تصر على استبقائي؟ ما جدواى عليك يا صاحبي
العزيز؟ ليس في لك نفع، فأنالا احسن الا التعلق بقلبك النبيل،
ولك عندي محبة لا مزيد عليها. ولكن اى طائل تحت هذا لك
يا صديقي؟

فكر في الامر، ولا تبطىء على بقرارك الاخير ..

المخلصة الودود

برباره

اول يوليه

هذر وهراء ما تقولين يا فارينكا! ما هذه الخواطر السوداء
النكراء التى عششت فى رأسك يا اختاه؟
انت جاهلة يا فارينكا بحياة الناس، وليست لك خبرة بما
فيها من متاعب ومشاق... فانت لا تفقهين معنى الإقامة بين
قوم غرباء، لا يعنيهم أمرك، وانما يعنيهم منك امر انفسهم.
اما انا فأعرف تلك الحياة يا فارينكا، فقد اكلت من خبز الغرباء،
فوجدته علقما وصابا، ولم أجديه شبعاً من جوع، ولا راحة
من تعب، ولا رحمة من عذاب!

ما الذى ينقصك يا عزيزتى فى حياتك الراهنة حتى صرت
تضييقين بها كل هذا الضيق؟ أهو ما تزعمين من ثقل عبئك
على كاهل «فيدورا» وكاهلى، وانه لا نفع فيك لنا؟

إننت لا نفع فيك لنا؟ ولولاك لما كان لنا بحياتنا انتفاع ..
فأى نفع لى انا سوى أن اكون ذا نفع لك يا يمامتى الحبيبة؟

هذا هو السؤال الذى كان ينبغى أن تسألى نفسك اياه
الا ما أقسالك يا فارينكا... اتراك تستعجلين ساعة يحملنى
فيها الحاملون على ظهرى الى مقبرة فى ظاهر المدينة... فيرمى
الناس وراء نعشى بحفنة من التراب فى حفرتى الباردة، ثم



مفرق الطريق



يتركوننى فيها وحيدا ، ويعودون الى حياتهم دونى ؟ لكأنى بك
بهجرانى تستعجلين لى وحشة القبر افرد فيه ودونى جنـدل
وصفائح ... فحياتى بدونك يا فارينكا موحشة كالقبر ،
قاسية كالوت ...

فاستحلفك بكل عزيز ومقدس يا فارينكا الا تجرعينى هذه
الكأس ، وأن تحولى عن شفتى مرارتها ... فانها اقسى من
احتمال قلبى الكسير ، الذى تركت فيه اثارها الايام ، وملأت
صفحته بالندوب ...

ارحمى تعلقى بك يا املى الفريد ، وارحمى نفسك ايضا يا اختاه
من قسوة الغرباء على قلبك الرقيق ...
فانك ان ترحمى قلبى ، يرحمك الله ويجزيك خير مايجزى
اهل المروءة والاحسان .

صديقك المخلص الوداد

مقار ديوفشكين

عزيزى السيد مقار !

لقد باعت « فيدورا » الحبيب الذى طرزته بيدي بخمسة عشر
روبلا ، اعطيتها منها ثلاثة ففرحت بها فرحا عظيما ..
وانى اكتب اليك على عجل ، لاننى اريد ان احيك لك صدارا
من نسيج جميل اصفر اللون فيه زركشة صغيرة بيضاء تمثل
افانين من الزهر ، سيعجبك كثيرا .
ارسل اليك مع هذه الرقعة كتابا فيه مجموعة من القصص ،
او صيك ان تقرأ منها على الخصوص قصة المعطف للكاتب
« جوجول »

الا تزال مصرا على اصطحابى الى مسرح التمثيل ؟ اليس
هذا بذخا باهظ التكاليف ؟ .. ان فيدورا تردد على سمعى فى
الايام الاخيرة انك تنفق اكثر من دخلك ، وهذا رايى ايضا ، فما

أكثر ما أنفقت على في غير موجب .. فاحذر يا عزيزي أن يصيبك
من ذلك البسط في النفقة ما يضررك ..
لقد نقلت الى فيدورا ما تناهى الى سمعها من خلاف نسب
بينك وبين ربة الدار ، لتأخرلك في سداد أجر سكنك .. فاقلنى
هذا الخبر ، وعسى الا يكون صحيحا ..
وداعا يا صديقى .. ولينك ترجع عن دعوتى الى مشاهدة
التمثيل ..

بربارة

ملحظ : لقد خطر لى خاطرا حببت أن استطلع رايك فيه :
الا يكون جميلا أن ارتدى - اذا ذهبت معك الى مسرح التمثيل
- قبعتى الجديدة ، وشىالى الاسود ؟ اترى ذلك يزيننى ؟

٧ يوليه

عزيزتى بربارة

... اصل ما انقطع من حديثى اليك بالامس .
اجل يا اختاه ، لقد عرفت فيما مضى من أيام شبابى ما
تنطوى عليه كلمة النزق او الضلالة من معنى ، حين إغرمت
بتلك الممثلة الفاتنة . وقد لا يكون هذا وحده دليلا على خيالى
وسوء رأىى ... وانما الدليل على ذلك أكبر الدليل هو اننى
لم أر هذه الممثلة قبل افتتاحى بها الا مرة واحدة ، وهى على
خشبة المسرح

وانكى من هذا اننى احببتها حتى قبل أن أراها تلك المرة
الفذة . فقد كنت أساكن خمسة شبان من الطلاب المتهوسين ، لم
تكن تفوتهم رواية من رواياتها فاذا عادوا الى البيت آخر الليل
لم يتركوا الى فرصة للنوم ، لكثرة ما يتحدثون فى حماسة عن
معبودتهم الحسناء . فكلهم كان عاشقا مدنقا على البعد بها ،
فالحب كخلائق الناس جميعا يعدى ، فانتقل حبها الى قلبى

الخلي . وذهبت معهم الى مسرحها ذات ليلة ، فخرجت متيما لا املك مقاد لبي . فقد كان صوتها عذب الجرس صافيا كأنه غناء البلبل وعدت الى مثواي وكاننى اعيش فى حلم . وتحسست جيوبى جميعا واحدا واحدا ، فلم اعثر فيها الا على روبل من فضة ، هو كل ماملك الى ان اقبض راتبى بعد عشرة ايام طوال . فما تظنيننى قد فعلت بذلك الروبل الفرد ؟ لقد بكرت من عدى الى حانوت للعطور الباريسية ، فاشتريت لها عطرا وصابونا معطرا ، ورحلت اذرع الطريق تحت نوافذ بيت معبودتى الغافلة ..

وانى لأعجب من نفسى اليوم لماذا اشتريت ذلك العطر ، وذلك الصابون ، فلم اجترى على اهدائهما الى معشوقتى .. ولكن كل ما اعلمه انى بقيت شهرا ونصف شهر لا امارس شيئا من مهام الحياة وامورها سوى تعقبها اينما ذهبت فى عربة اكثريها ، حتى ساءت احوالى ..

واخيرا يا يمامتى ، وبغير مقدمات ، طار جها عن قلبى ذات صباح ، كما حظ عليه من قبل ذات مساء .. وارتفع عنى ما كان يرهقنى من سحر الساحرة الحسناء ...

وهذا يا عزيزتى ما ترديت فيه يوما من الرعونة ، ولكن هذا عهد مضى يا اختاه ، مع ما مضى من ايام الشباب .

مقار ديوفشكين

زعازع الأنواء

٢٧ يولية :

عزيزى السيد مقار :

لم تعد براهينك تقنعنى يا صديقى ، وبت ارانى مخطئة فى رفض ما عرض على من أعمال شريفة . . ولا سيما بعد ان أصبحت تتعلل لانقطاعك عنى بأن طبيعة حبك لى تفرض عليك تلك القطيعة . . وانما هو خوفك ان اتبين الحقيقة وما صرت اليه من ضيق شديد . .

لقد زعمت لى انك تنفق على فى مرضى وحوائجى من فيض مال كنت تدخره ، فاذا انت لم تكن ذا مال مدخر ، وانما دفعك عطفك وحنانك ان تقتصر على نفسك كل التقتير فى سبيل رفاهتى ، وان ما زعمته مالا مدخرا كان مرتبك وقد تناقضته عدة شهور سلفا ، فانت الآن ولا مورد لك على الاطلاق . .

وقد تحققت انك بعث كسوتك الرسمية اثناء مرضى لتدفع ثمن دوائى ، فبت خلق الثياب ، تطل اصابع قدميك من حذائك . فازريت بنفسك ، وجوعتها فى سبيل استبقائى ونعمائى . .

الا انك قد خنت عهد صداقتنا بهذا الخداع الفاضح . . ! ان ذكرى ما استهلكت من هداياك من الحلوى والثياب والنزهات والدواء تنوش قلبى ندما على ما كلفتك من ضرورات الحياة . . والمسرات التى طالما اثلجت بهما صدرى قد انقلبت مدعاة للغم والاسف . .

افهل هبطت الى هذا الدرك من الزرابة بنفسك يا مقار ، وانت الرجل الفاضل الذى اجمع الكافة على توقيره . . ؟
أهكذا تجعل من نفسك هزاة العالمين . . ؟
الا ما أهول ما جرته عليك صداقتى الرعناء . . ! وكيف

اغفر لنفسى ما سببته لك من سوء المنقلب .. ؟
الك يد بتصور ما انتابنى من الالم الشديد حين قالت لى
فيدورا ان الشرطة عثروا بك ثملا مطروحا فى الشارع فى
الهزيع الاخير من الليل .. ؟

لقد اصابنى الدهول لاول وهلة ، وان كنت قد توقعت امرا
خارقا ، لانك تغيبت عن بيتك اربعة ايام سويا .. ولكنى لم
اكن اتوقع ان يعثر بك الشرطة مخمورا وانت رجل الفضل
والنبل والاستقامة التى تضرب بها الامثال ..

ماذا عسى ان يقول رؤساؤك لو عرفوا هذا الامر .. ؟ وهلا
تذكرت ما طالما كررته على سمعى من شيوع امر صداقتنا
على السنة جيرانك اجمعين ، حتى سخروا من غرام كهل فى
سنتك بفتاة مثلى .. ؟ ماذا عساهم اذن قائلين بعد هذا
الذى حدث لك .. ؟

ثم ما حكاية شجارك مع الضباط .. ؟ ولماذا تكتم عنى ما
يحدث لك ويحزنك من الامور .. ؟
اكتب الى يا صديقى ولا ترضن على بشىء من اخبارك اذا
كنت لا تزال تقدر صداقة ..

المخلصة لك على الدوام

بريارة

٢٨ يولية :

عزيزتى الغالية بريارة .. !

اما وقد عاد كل شىء الى نصابه الان ، فلست ارى ما يمنعنى
من مصارحتك بما كنت اخفى عنك ..

لقد تساءلت عما يخوض فيه الناس من شائنا ، ومن شائى
انا على الخصوص ، وقد راوا تغير حالى .. فاعلمى اذن ان
قالة الناس فى شخصى لا تهمنى ، وان رؤسائى فى الديوان لا

علم لهم بشيء .. فلا يكربنى الآن الا تخرص الناس عن صداقتنا ، والخوض فيها بما ليس منها ..

لقد كانت ربة البيت لا تكف عن الصياح والصخب ، حتى ادبت اليها جزءا من متأخر الكراء - هوتلك الروبلات العشرة التى بعثت بها الى مشكورة - فخفت صوتها حتى صار زمجرة مكتومة لا آبه لها كثيرا ..

واما جيرانى فلا يتعرضون لى بسوء .. وليس يهمنى الا يحترمونى ، فتقديرك انت هو كل ما أحرص عليه يا عزيزتى ! ولست اكتمك ان ديونى الكثيرة تثقل على صدرى ، وان رثاءة ثيابى تخزنى .. ولكن هذا كله ليس شيئا مذكورا ، ما دمت انت بخير ، ولعل الله يحدث لنا فرجا ..

لقد بعثت الى امس بنصف روبل .. فما أشد ما آلمنى هذا النصف روبل وحز فى قلبى .. هل صرت حقا الى هذا الموقف النكد .. ؟ هل انقلبت الآية شرمثقلب ، حتى بت انا الذى أتلقى منك العون ، لا الذى يقدمه اليك كما ينبغى للولى الحميم .. ؟ وداعا يا يمامتى .. واتم الله عليك العافية ، وسأحدثك فى خطاب آخر عما وقع لى مع الضباط ...

مقار ديوفشكين

٢٨ يولية

أختى فارينكا

لقد اثرت كوامن أشجاني بما قلت لى أيتها الاخت عن حقى فى حبك ، وان ذلك الحب ليس من الرعونة والخبال فى شيء . وهو كلام جميل .. ولكنه محض كلام .. اما قلبك يا فارينكا فما اراه يقول ما ينطق به لسانك ، وانى من هذا على يقين . وقد كان هذا الحب الذى اغالبه سببا فى كل ما وقع بينى وبين الضباط من مهازل لا أحب ذكرها ، لولا الحاحك فى السؤال تعلمين يا فارينكا انى سلخت شهرا لا أجد ما أعيش به ،

فكنت اتسلل الى البيت تسللا واخفى وجهى عنك متعللا بكثرة العمل ، ولولا ان ربة البيت تربصت بى وفضحتنى لما علمت الحقيقة ..

وما كان صياحها ليزعجنى ، لو لم تعرف المرأة السليطة - ولا ادرى كيف عرفت - ان بينى وبينك صداقة ومودة ، فراحت تندد بنا ، وتنعتك على ملاء السكان باقبح النعوت . . حتى استولى على الذهول لما سمعت ، ورحت اصم اذنى بأصابعى فزعا واستنكارا . . ولكن سائر السكان لم يصموا آذانهم بأيديهم كما فعلت . . بل فتحوها وارهبوها ارهافا شديدا لتلقى تلك الارجيف . حتى بت لا ادرى اين اخفى وجهى عن هؤلاء الناس الذين صدقوا ، لسوء دخيلتهم ، ما قيل لهم ..

وزاد الطين بلة اننى سمعت بعد ذلك من « فيدورا » ان شخصا لا خلاق له زار حجرتك واساء الى كرامتك وحيائك بما سولت له نفسه ان يطلبه اليك ويساومك فيه . . وانى لمدرک يا عزيزتى مدى ما المت له بسبب تلك الالهانة التى مست سويداءك . . فكان ذلك النبأ هو القشة التى قصمت ظهر البعير . . فتداعى مقاومتى تحت عبء الاحزان ، فان كل شىء كان هينا عندى ، الا ان يمسك سوء من قريب او بعيد وكانما اصطلحت الطبيعة مع الناس على توهين عزيمنى . . فأمطرت السماء وانتشرت الوحول فى كل موضع ، ونفذ الماء من ثوبى الخلق وحذائى البالى . .

وفيما كنت متجها الى البيت فى ثاقل وانقباض ، قابلنى « اميل » الموظف السابق فى ديواننا ، فمشينا نتناقل أخبار متاعبنا برهة ، فهو رجل مسكين لا مورد له بعد فصله من الخدمة

وفي شقائه صدى لشقائي العظيم في ذلك اليوم ..

وانتهى بنا المطاف الى احنانة وماخور ..

ولكن اى ارب لك في الاطلاع على صورة مفصلة للاوزار
والحمات التى تمرغ فيها صديقك المسكين فى ساعة ضيق
وضعف ..

لقد دامت هذه الخطيئة ثلاثة ايام سويا ، دفعنى اميل فى
نهايتها - وكنا نتذاكر همومنا بين كؤوس الخمر - الى الانتقال
مما لحق بى من اهانتك والاساءة اليك والى شرك . فاندفعت
تحت سورة الخمار الى بيت ذلك الضابط السفيه ..

ولست اذكر الآن شيئا مما حدث على وجه التفصيل ،
ولكنى اذكر فقط ان البيت كان غاصا بالناس ، ومعظمهم من
الضباط ، واننى اندفعت فى الكلام طويلا ، الى ان القوا بى
من اعلى الدرج ، فتدحرجت ، حتى بلغت ارض الشارع ..
وعلى هذه الحال عثر بى الشرطة

ولكنى لم اكرث لهذا الذى وقع لى ، لان شيئا فى الحياة
لا يهمنى بعد راحتك وسلامتك من سوء ، ومن السنة السوء
فاذا كنت قد ائمت يا صاحبتى ، فسيبك ، وبسبب حبي
لك وتعلقى بشخصك الحبيب ، وحرصى على كمال احترامك ،
وصيانة كرامتك بسياج متين .

وليك الحميم

مقار ديوفشكين

٢٩ يولية :

سيدى العزيز :

قرات خطابيك اللذين كتبتهما الى امس .. فاستولت على
دهشة شديدة : فاما ان تكون قد كتمتني جانبا كبيرا من

الحقيقة ، واما ان يكون اضطرابك النفسى اعنف كثيرا مما قدرت ..

فاتوسل اليك ان تحضر لزيارتى اليوم .. تعال لنتغدى معا فى غير تكلف ، فان لى معك حديثا طويلا ، ولاسيما عن نمط حياتك وعلاقتك بربة البيت ، وهى امور لاتخوض فيها فيما تكتب الى من الرسائل .. كأنما تريد ان تتجنب ذكرها عمدا . وداعا يا صديقى ، واعلم انه لابد من حضورك على كل حال ولعل الاوفق ان تتغدى معنا كل يوم ، ففيدورا طاهية ماهرة .
بربارة

أول أغسطس :

أختى بربارة العزيزة .. !

أراك سعيدة بما هيأته لك الفرصة السانحة من اظهار ما تنطوى عليه جوانحك من عرفان الجميل والعطف الكريم ، ولكن لا ادرى لماذا تلحين فى نبش هفواتى التى انحدرت اليها فى الماضى .. ؟

لقد هفوت واثمت ، بيد انى اتألم كثيرا حينما اسمع ذلك من بين شفتيك انت من دون الناس جميعا .. وأرجو الا تغضبى لهذا الذى اقول لك ، فان قلبى يتمزق ألما ، والفقراء يا يمامتى قوم فيهم حساسية شديدة لما يمس كبرياءهم المرهفة . وفيهم حذر وسوء ظن بالدينيا وبالناس . فالرجل منهم يصيخ السمع كلما رأى قوما يتهامسون ، خشية ان يكون موضوع همسهم وتغامزهم . واذا جاد عليه الناس بشئ من المال ، أجازوا لانفسهم ان يتطفلوا على حياته الخاصة ، فليس ما يعطونه صدقة خالصة فى الواقع ، وانما هو اجر « الفرجة » على رجل فقير من عباد الله المساكين ..
فهل تعجبين بعد هذا يا اختاه لما يداخل الفقير منا من

التوجس والارتباب وسوء الظن بالناس ؟ فهو يحس كما لو كان
اولئك المتخمون يهمون بتعرية جسده من كل ما يستره . .
فهل يلام على تمسكه بالحياء ، وبستر ما أمر الله ان يستر ؟
الا ان خلوات الناس وآلامهم عورات لا يحل لاحد ان يطلع
عليها . . وقد ظهرت سواتي اليوم للناس ، فكدت اموت
خجلا . . لقد تبينت ان كوعى كان يطل من كم سترتى البالى
وانا جالس الى مكتبى فى الديوان . . وان ازرارها كانت تتراقص
مدلاة من خيوطها الواهية التى لا تكاد تمسكها . .
فلما عدت من الديوان ، وقصدت الى بيتك للغداء ، رأيت
جميع سكان بيتنا فى النافذة ، يشيرون الى بأصابعهم
هازيين ، وسمعت صاحبة البيت تنعتك بأعلى صوتها نعتا
بذيئا . . ووصمتنى بالشيطان الذى يغرى فتاة ويدنس شرفها
فى سبيل متاع شيخوخته الفانية . . فجعلت الدنيا تدور
من حولى ، كأنما اعانى سكرات الحمى ، وقد أعيثنى الحيلة
للخلاص من هذا المأزق . .

رباه . . ! اين اين المفر ؟ !

لقد ضقت ذرعا بكل شيء ، وكفرت بكل شيء ، ولست ارى
لى مخرجا من هذا البلاء الشديد . .

مقار ديوفشكين

٢ اغسطس :

عزيزى السيد مقار . .

لا يحزنك الامر يا صاحبي ، فما عقدة الا ولها فرجة مثل
حل العقال . . وقد وفقنا فيدورا الى كمية من الاعمال
لى ولها ، سيأتينا منها اجر حسن ، عسى ان يقضى على كل
اثر لضائقنا الخائقة . .

لا تلق بالا الى تخرصات ربة الدار ، وتعال لزيارتنا وتناول

الطعام معنا ، فهو أجدى عليك واقصد لنفقتك ، والقصد اولى من القرض .. لان القرض تأجيل بلاء وليس حسم داء .. واوصيك الا تسترسل في سوء الظن وتوهم المكائد والشماتة ، فان ذلك الوهم خليق أن يزيد نفسك اضطرابا ، من حيث تنشد الامن والسكينة ..
انى انتظر حضورك اليوم ، فلا تتخلف ..

بربرة

٣ أغسطس :

ملاكى الرقيق بربرة .. !

ابادر بأن ازف اليك يا نور حياتى بشرى بارقة من الامل ، تراءت لى ، وان كنت قد نصحتنى في خطابك امس الا الجأ الى القروض ، لانها فى رايتك ياملاكى دائرة خبيثة مفرغة لاتحل المضلات ، وانما هى تؤجلها لتزيدها تعقيدا واستعصاء .
ان لى زميلا فى الديوان ، يجاور مكتبه مكتبى ، اسمه «اميليان ايفانوفتش» وهو مثلى من اقدم موظفى الديوان ، ولكنى كما تعلمين رجل منطو على نفسه ، فلم تزد العلائق بيننا على تبادل التحية والسلام ، وقد اقول له فى الحين بعد الحين ..

— اعطنى مبراتك يا عزيزى متفضلا مشكورا ..

فلديه مبرة من الصلب ليس كمثلها مبرة .. ولكن الصلة بيننا فى ثلاثين سنة لم تزد يوما على هذه المجاملات الرسمية ، وان كنت اشعر فى قرارة نفسى انه يضمر لى الخير . وبالامس قرا فى وجهى علائم الهم والكدر فسألنى ما بى ، فقلت له اسباب ضيقى ، اجمالا لاتفصيلا بطبيعة الحال . لان الشجاعة لم تواتنى على مصارحته بكل متاعبى الباهظة ، فقال لى اميليان :

— لماذا اذن لا تعقد قرضا تصلح به شأنك .. ؟ ان «بير

بتروفتش « يقرضنى بفائدة معقولة فالجأ اليه ، فهو رجل طيب ..

فقلت فى نفسى : لعل هذا بشرير الخلاص من ضيقى الراهن فأسدد دينى لربة البيت ، وأقدم لك شيئا من المعونة ، وأجدد ما خلق من ثيابى .. فقد صار ملبسى مدعاة للخزى المقيم .. فاذا غضضت الطرف عن نكات الرقعاء من الموظفين ولو أذع تعريضاتهم وغمزهم ، فما يسعنى ان اغض الطرف عن مدير الديوان .. فقد يمر سعادته بمكتبى ويرى سوء مظهرى الذى لا يليق بكرامة مركزى فى الدولة ، والكرامة ولياقة السماتهم شيء فى منظر مثل لهؤلاء الرؤساء العظام .. ولا احسبه سيقول شيئا ، ولكننى خليق ان أموت خجلا تحب وقع نظراته الناطقة بالاشمئزاز والاستياء ..

وكان هذا خاطر لوحده كافيا للقضاء على كل تردد ، فجمعت شجاعتي فى يدي ، وتوجهت الى مكتب « بير بتروفتش » فوجدته مشغولا بالحديث مع شخص آخر ، فاقتربت منه ووقفت الى جواره من الجانب الآخر ، وجذبت طرف كفه فى لطف ، فالتفت نحوى ، فقلت له همسا اننى بحاجة الى ثلاثين روبلا ، ويبدو انه لم يفهم مرادى لاول وهلة فشرحت له الامر ، فأنشأ يضحك ، ولم يجبنى بشيء .. فلما رأيت سكوته وصمته بعد ان ضحك ماشاء الله ان يضحك أعدت عليه الطلب ، فقال لى :

— الديك رهن عيني ؟

ثم « غاص » فى أوراقه وكتاباتة دون ان ينتظر منى جوابا على سؤاله ، غير ملق الى نظره ، فاضطربت وتضاءلت بعض الاضطراب وبعض التضائل ، وقلت بصوت مختلج :

— كلا يا بير بتروفتش ، ليس عندى رهن ..

ثم أخذت أوكد له اننى سأفى بدينى متى قبضت مرتبى ،

مقسما له على ذلك بأغلظ الايمان ..

وناداه مناد في هذه اللحظة فخرج ، وانتظرت حتى عاد الى مكتبه ، فجلس وانصرف الى برى قلمه بعناية وكأنه لا يحس لى وجودا ، فأعدت الكرة عليه في توسل ، فتصامم عن كلامى ، وكأننى لم اقل شيئا ، فبقيت واقفا بين يديه لحظة لا ادرى ماذا اصنع ، ثم عولت على اعادة المحاولة على ياس من الفلاح ، فجذبت كفه مرة اخرى ، فلم يلتفت الى ، وانصرف الى الكتابة بعد ان نفخ آثار برى القلم عن اصابعه وثيرابه ، فانصرفت ، وما كان لى الا ان انصرف بعد هذا الذى جرى بيننا في غير طائل ارايت يا اختاه ؟ اولاء هم الغرباء ، قوم كرام على انفسهم ، ونحن عليهم غير كرام .. فلا يدرى الفقير منا كيف يخاطبهم او يشعرهم بحاله او يعطفهم عليه .. فنحن اهون عندهم من ان نحرك فيهم ساكنا او نشغل لهم بالا ..

ولما عدت الى مكتبى وقصصت ما حدث على « اميليان » ضحك كثيرا ، وهزراسه وسكت .. ثم راح يسرى عنى ويفتح امامى ابواب الامل ، فهو مثلى رجل فقير ، ووعد بتزكىنى عند صديق له يسكن حى « فيبورج » يقرض الناس .. برىا معقول ، وسأذهب اليه من غدى .. فما رايك يا اختاه .. ؟ الست على حق .. ؟ وهل من هذا السبيل بد او عنه مندوحة ؟ فهذه ربة البيت تتوعدننى بالطرذاذا لم اؤد لها حقها المتأخر واجرها المظلول ، وهى تأبى منذ اليوم ان تقدم لى طعام العشاء نسيئة كما كانت تفعل من قبل واما نعلاي يا اختاه فحالهما شر حال . واما سترتى فقد كثرت فيها الخروق ، وطاح البلى بنصف ازرارها المعدنية الصفراء .. حتى ما ادرى كيف اواجه

نظرات رؤسائي لو رأوا كيف بت أبدو . . انها لتكونن اذن
كارثة ليس عنها من محيص .

مقار ديوفشكين

٤ أغسطس :

عزيزى مقار

استحلفك بحق الله عندك يا مقار ان تدبر قدرا من المال
على وجه الاستعجال ، كائنا ما كانت الوسيلة . .
وما كنت لاطلب اليك هذا الطلب ، او استاديك العون
وانت فى هذه الظروف التى اعلمها علم اليقين ، لولا اننى الفى
نفسى فى موقف لا يطاق معه الصبر ولا تنفع فيه الحيلة . .
فلا ارانى قادرة بعد الآن على التلبث فى هذا البيت الذى أسكنه
بحال من الاحوال . .

تصور يا صديقى اننى حظيت اليوم بزيارة من رجل غريب
لا اعرفه ، متقدم فى السن حتى ليكاد يحسب فى عداد الشيوخ
ترصع صدره نياشين ذات عدد ويريق فادهشتنى هذه الزيارة
التى لم أعرف لها سببا . . وكانت فيدورا فى السوق تشتري
حاجاتنا ، فأنشأ الزائر المجهول يسألنى عن احوال معاشى ،
وشواغل حياتى ، ثم انتقل - قبل أن أجيبه على أسئلته -
الى مكاشفتى بحقيقة شخصيته فاذا هو عم ذلك الضابط الذى
زارنى يوما ليراودنى عن شرفى وانحى على ابن أخيه الشاب
باللائمة الشديدة ، واستنكر تشهيره بى فى الحى كله بمآثره
من فضيحة بسلوكه الشائن ، الذى املاه عليه طيش الشباب
ثم عرض على حمايته ، زاعمائه يشعر نحوى بعطف أبوى ،
وحنان والدى صادق يدفعانه الى رعايتى ومساعدتى . .
فتخضب وجهى بحمرة الحياء ، وحررت فى تاويل ما يقول ، فلم

أعبر له عن شكرى ، فجذب يدي عنوة ، ثم داعب بأنامله العجاف ذقنى ، وهو يطرى سحر عيني ونضرة حسنى !! ثم صاح منتشيا حينما اكتشف أن لى فى وجنتى « غمازتين » وهم أن يقبلنى قهرا ، قبله يزعمها من فيض الابوة العطوف ودخلت فيدورا فى هذه اللحظة ، فاضطرب وتراجع ، وجعل يكرر فى تلعثم ظاهر انه يقدر وداعتى واستقامتى .. وأنه يرجو أن اطمئن اليه واثق به .. ثم انتحى بفيدورا جانبا وحاول أن يدس فى يدها شيئا من المال متعللا بتعلات عرجاء ، ولكن فيدورا ابت بطبيعة الحال أن تقبل منه شيئا ، فانصرف على وعد بتكرار الزيارة ، حاملا الى قرطا من الذهب ازين به اذنى الجميلتين ..

ولم ينس أن يوصينى قبل انصرافه بتغيير مسكنى ، فانتقل الى مسكن آخر خير من هذا ولا يكلفنى اجرا .. ثم قال انه يعرف « آنا فيودروفنا » وانها ستأتى لزيارتى عما قريب .. فما أن سمعت منه هذه العبارة الاخيرة ، حتى تكشفت لى الحقيقة بحذافيرها ، وادركت أن هذه القوادة قد عادت الى لقاء شباكها حولى ، ولا حول لى .. فانفجر غيظى المكتوم ، وجعلت انتفض واسب الرجل واصرخ طالبة اليه الخروج من بيتى ، فجرته فيدورا الى الباب جرا ..

ان هذه المرأة قد دبرت لنا هذا الشر ، وما كان الرجل يعرف طريقنا لولاها .. فلا تتخل عنى الآن يا صديقى بحق السماء واخرجنى من هذا المأزق .. اقترض .. اقترض مالا باى شكل من الاشكال .. حتى ننتقل من هذا البيت الى موضع لا تعرف فيه « آنا فيودروفنا » مكانى . ولا يكفى لهذه النقلة اقل من خمسة وعشرين روبلا .. اتوسل اليك الا تحجم عن

شيء في سبيل الحصول عليها . فلا تهولنك فائدة الربا ولو
كانت اضعافا مضاعفة ، اقدم على اي شيء ، واقبل كل شرط
يفرض عليك . . ولكن لا تتخل عنى ولا تخذلنى يا صديقى
الوحيد واملئ الفريد . .

بريارة

أين الممر؟

٤ أغسطس

يما متى وعزيزتى العزيزة !

انى أترنج تحت هذه الضربات المباغطة التى أحس بها تتواكب فوق رأسى ، فتسحق مقاومتي وتشل وجدانى وتمحق روحي .
ما أشقانى بالحياة بين هؤلاء الناس الذين تموج بهم المدينة الكبيرة ، متسكعين ، متطفلين ، شامتين ، لا يفهمون الألم ، ولا يعرفون الرحمة . انهم ليدفعوننى الى اليأس . كلا . بل الى ماهو شر من اليأس : الى الجنون أو الانتحار ، أو الكفر والاستهتار .
ما أشقانى بما كتبت الى ، فانى لافضل الموت فى أبشع صوره على القصور عن معونتك ، وقد طلبت هذه المعونة فى ألم يفتت الاكباد . .

بل انى أشقى شقى ، حتى اذا وسعت طاقتى اسعافك بما تريد من العون : فلو لبيت طلبك ، لكان فى ذلك بعدك عنى ، كما يحلق العصفور بجناحيه فى الفضاء فلا تصل اليه يد ولا يقربه منك الا أن يعود اليك ، وأنت تريد ذهابا لارجعة فيه . .
ولكن ماحيلة العصفور وقد اجتمعت على عشة البواشق والصقور ، تريد أن تهلكه وهوراقده فيه .

وتلك يا حياتى هى شقوتى المزدوجة وحيرتى الرائنة . . فلماذا تلقين بى فى هذه المحنة ؟ ولماذا تشقيننى وتشقين نفسك ، قانك لن تجدى فى البعد عنى الا الوحشة ، وانت كالأطفال لا غناء لك عن راع يسهر على صحتك الرقيقة والا اضرت بها بما فى طبعك من تهور وقلة اكتراث . وما أحسبك الا تنوين الانكباب فى حياتك على الحياكة والتطريز ، حتى تنوئى بذلك العمل الشاق .

فارينكا ! فارينكا ! أعدك أن أكون لك خير راع ومعين ، ولكن لا تتركى جوارى يا اختاه ! ودعى التفكير فى العمل ، فساقوم أنا

بكل ما يلزم لمعاشك : سأعمل فى نسخ المؤلفات ليلا . سأطرق أبواب المؤلفين وأحملهم على تكليفى بنسخ كتاباتهم حملا ، لانهم بحاجة الى نساخين من ذوى الخط الحسن . أنا من هذا على يقين فلا يداخلك فى ذلك شك .

وثقى أيضا اننى سأقترض من المال ما يكفىك الى أن أجد هذا العمل الاضافى النسخى ، أتقولين فى خطابك اننى لا ينبغي أن أراجع أمام فداحة الربا ؟ ثقى اننى لن أراجع أمام شئ مهما كان فى سبيل تدبير المال ، ولكن أستحلفك ألا تفارقينى والا مت كمدا ، فما حياتى بغير جوارك ؟ أنت لى كالشمس للنبات والماء للحوت . . .

سأطلب أربعين روبلا قرضا أصلح به شأنك وشأنى ، وهو ليس بالمبلغ الكبير . أترينه كثيرا ؟ أظنن الحصول عليه يسيرا ؟ أتريننى - فى نظرك - أوحى بالثقة ، بحيث يطمئن المرابى الى كلمتى ، فكلمتى هى الضمان الوحيد الذى أملك تقديمه لقاء هذه الروبلات الأربعين . . . أعنى هل يدل منظرى وشكلى العام على اننى أهل للثقة ؟ حاولى ياملاكى أن تتذكرى أول لقاء لنا وخبرينى هل تدل النظرة الاولى الى على رجل يبشر بالخير ويستأهل الاحترام والتقدير . ولا تكتمنى رأيك الحق ، فانى أرتعد فرقا من الفشل فى هذا المشروع . . . حتى بات الوسواس لا يفارقنى فى غدوى ورواحى .

وقد اعتزمت أن أخصص من هذه الروبلات الأربعين خمسة وعشرين روبلا لما يلزمك يا فارينكا ، واعطى خمسة أخرى لربة بيتى حتى أكف أذاها ، وأدبر شأنى المضطرب بما يتبقى منها .
والحق انه كان ينبغي أن أدفع الى ربة البيت أكثر من هذا المبلغ ، لولا كثرة ما يلزمنى لزوما عاجلا ملحا ، فلا بد لى من حذاء

جديد يكلفني روبلين على الأقل، فلست واثقا ان حذائي الحالى قادر على الصمود الى الغدا! فالله وحده يعلم كيف سيتسنى لى الوصول غدا الى الديوان بهذا الحذاء المتداعى . . أما رباط العنق العتيق القذر فلاأظننى بحاجة الى شراء بديل عنه ، مادمت قد وعدتني بعمل رباط لى من بعض أثوابك القديمة . . ولكن لاغنى لى عن شراء أزرار معدنية جديدة، بعد أن ضاع أكثر من نصف أزرار كسائى . . وانى لارتعد فرقا لمجرد التفكير فى احتمال وقوع نظر سعادة المدير العام على شخصى وقد أصبح بهذا القدر من الزراية والابتذال! ماذا عساه أن يقول عنى وأنا الرجل القديم العهد بالخدمة ، المشهور بالرزانة والاحتشام ؟ . . لن يقدر لى أن أسمع تعليقاته ، لاننى ساكون قدمت خزيا لمجرد نظره الى .

ويبقى ياملاكى بعد هذا ثلاثة روبلات، أعيش بها سائر الشهر، واشترى نصف رطل من الطباق ، فأنا يا حيايتى لا أستطيع الحياة بدون تدخين . . وهما قد انقضت تسعة أيام لم أرفع فيها غليونى الى فمى . .

انى ضعيف أمام عادة التدخين، وكان بوسعى أن أفكر فى شراء الطباق دون علمك ، ولكنى كنت خليقا أن آلم لهذا الخداع . . . أما يكفينى أن تكونى فى ضيق وعوز ، وأسرف أنا فى ارضاء ملذاتى التافهة . . حتى أضيف الى هذا الضعف وصمة الاختلاس ؟ . . لهذا يا حيايتى حرصت على مصارحتك والاعتراف بين يديك بذلتى حتى لاينغص على تائب الضمير يقظتى ومنامى .
أواه ! انى لاجد نفسى الآن فى موقف لم أقف مثله من قبل ، فى كل مامربى من ظروف الحياة وشدائدها . . فربة البيت تلاحقنى بازدرائها ، ولم يبق لى احترام فى نظر انسان . . . وصارت الضائقات والازمات والديون تنوشنى من كل جانب فى هذا البيت الملعون . .

أما فى الديوان فالامر أدهى وأمر • فماتعودت من زملائي ولا سيما الشبان منهم كل عطف وتقدير ومودة ، قبل أن أصل الى درك بؤسى الراهن • • فغير غريب أن يتفاقم الامر الآن • لذلك صرت حريصا على أن أتسلل الى مكتبى تسلل اللص ، حتى لاتقع على هيئتى عين ما استطعت الى ذلك سبيلا • •
 فياويلتى لو رفض المرابى اقراضى هذه الروبلات الاربعين! لاطاقة لى بالتفكير فى هذه الكارثة ، ولهذا أوتر ألا أشغل ذهنى بها • • فلو وقع هذا الحادث الجلل ، لطوانى الردى قبل أن أجسر على العودة الى ما ينتظرنى فى البيت من عذاب ونكايه ، وإلى ما ينتظرنى فى عينيك من نظرات الالم والعتاب • •
 لقد اطلت عليك • • واننى ينبغى أن أحلق لحيتى ، فذلك اليق وأدعى للثقة والاحترام • •
 رعاك الله ، ووفقنى ، والسلام

مقار ديوفشكين

٥ أغسطس

عزيزى العزيز مقار • •

ليتك لاتمتحن نفسك بكل هذا العذاب الذى تلوكه وتجتره مرة بعد مرة ، فلأنت أشد على نفسك من أحداث زمانك الشداد • •

هذه ثلاثون كوبكا أبعث اليك بها ، هى كل ما استطعت تدبيرها لتصلح بها شأنك الى غد • • أما نحن يا صاحبي فلم يبق لدينا شئ ، وما أدري ماذا نحن صانعتان غدا ، فليت غدا لاتشرق شمسها ايها الصديق !

الموقف دقيق نكد ، ولكن أى جدوى فى اجترار الهموم ؟ لقد حاولت فأخفقت ، فماذا كان فى وسعك بعد هذا ؟
 ان فيدورا تؤكد لى أن الامر ليس كما تتصور من السوء

والضنك ، وهى تزعم أن بقاءنا حيث نحن أمر ممكن ، بل هى تذهب فى زعمها الى التهرين من جدوى النقلة الى بيت آخر ، فان مثل « آنا فيودروفنا » قيمنة أن تتعقبنا وتعرف مثوانا الجديد ، فهى واسعة الحيلة قوية المراس ولكنى مازلت أرى بقائى فى هذا البيت غير لائق ولا مستساغ ، ولولم أكن مكتئبة النفس لكتبت اليك عن هذا الامر فى شىء من الاسهاب .

ان لك يامقار لخلقا عجيبا حقا ! فما أشد اكتراثك لهموم الناس ، واهتمامك لآلامهم . . . وتلك خلة تورذك موارد الشقاء ، وتجعلك على الدوام فى عذاب مقيم . . .

انى أعيد الآن تلاوة خطاباتك جميعا ، فما أشد ما يروعنى ماتبديه من العناية بشأنى والاهتمام لهمومى . . . حتى لتنسى أمر نفسك وخاص شأنك ، فساءت حالك وبت فى موقف لا مخرج لك منه الا بعناية من السماء تلحظك بها على غير انتظار . . . ولا شك عندى انه ما من انسان لا يرى فيك طيبة القلب مصورة ماثلة . . . ولكنى أراك مفرطا فى الطيبة ، مسرفا فى النبيل والارحية . . . فبعض هذا يا صديقى العزيز .

هذا نصح صديقة تخلص لك الود وتريد بك الخير . . . وانى لك شاكرة ، ولا ياديك عارفة ، وبفضلك مقرة معترفة . . . بل ان احساسى بأفضالك يسبب لى حيرة شديدة ، فلست أدري كيف أنجزيك احسانا باحسان ، وليس لى بذلك الجزاء يدان . . .

فانظر اى ألم يحز فى قلبى وأنا أعلم الى أى مدى بلغت بك الآلام والمتاعب والازمات ، وانتم ، أنا سبب هذا البلاء عن غير قصد . . . ، فقد كنت ذا سرور فاهية ، فصرت بسببى الى الفاقة والدين الثقيل . . . وكنت ذا سميت وزينة ، فصرت بسببى الى المهانة وسقوط الهيبة . . .

لقد عنيت نفسك بأمري، فلم يكن لك هم الا أفرأحي وأتراحي
 وأوجاعي وشجن ما غبر من عمري وما حضر . فلو عنى كل
 انسان نفسه بشأن الغرباء عنه كما عنيت نفسك بشأني ، لكان
 خليقا ان يجر على نفسه كلاكل البلاء من حيث لا يحتسب . .
 رباه ! كم خشيت عليك أن يصيبك مكروه حين عرجت على
 بيتي بعد خروجك من الديوان: لقد كنت شديد الشحوب .
 ظاهر الجزع ، تكاد تنهالك من فرط الاعياء اشفاقا على
 انا من الصدمة القاسية ، لانك لم توفق فيما حاولت من القرص
 فلما قلت لك انني غير آبهة ، وأخذت اضحك امعانا في اظهار
 استهانتى بالخطب ، سرى عنك من فورك .
 فاتوسل اليك يا عزيزي ألا تروع نفسك من أجل ، وثق أن
 كل شدة الى زوال ، وكل ضيق الى فرج فانه يستحيل على
 أي امرئ ان يعيش كما تعيش انت ، موزع النفس ، مقسم
 الفؤاد ، معنى بما يصيب سواك كان المصاب مصابك واشد وفعا
 فثب الى الهدوء يا صديقي ، ولا تكثر لشأني الى هذا الحد
 الاليم

برباره

ه اغسطس :

يمامتي الصغيرة فارينكا !
 الحمد لله انك قد تلقيت فشلي في الحصول على المال بهذا
 التهوين ، فقد خشيت ان يقع عليك النبا موقعا سيئا واحمد
 الله كذلك لانك قد عدلت عن هجر جوارى الى مكان لا أراك
 منه حين امسى واصبح .
 وقد شرح قلبي واثلج صدرى ما جاء في رسالتك من تقدير
 جميل وفهم صائب لحقيقة مشاعري نحوك وما لمسته
 في سطورك من اهتمام بسعادتي وراحة قلبي ، ونصحتك لي
 بالثبات والجلد . ولكن خبريني يا يمامتي من أين يأتييني الجاد

ونعلى مخروق ينفذ منه الماء والوحل كلما خطوت فى طريقى
خطوة • وكيف استطيع الذهاب غدا الى الديوان بهذا النعل
المنكود ؟ هذا ما يحيرنى ويقض مضجعى ، وما احسبه حريا ان
يضمنى اى نسان كريم ويمحقه محقا •

ولكن هذا على فداحته كان قمينا ان يهون عندى لو انه
كان يعينى وحدى ، فانا رجل متواضع ساذج ، لا يضيرنى أن
اخرج بغير معطف ، وبغير قبعة ، وبغير حذاء فى هذا البرد القارس
فانا اهل لاحتمال كل شئ ، ولكن ماذا عسى ان يقول الناس ؟
وماذا عسى أن تتخرص به السنة السوء ؟ فما الزينة واللباس
الحسن الا تقية اتقى بها الناس ، فمن أجل رضاهم اتجمل
ما استطعت ، ولو تركت لشأنى ما تجملت ... ولهذا ارانى
بحاجة الى حذاء جديد بأى شكل من الاشكال ، انقاذا لشرفى
وسمعتى من البوار •

ان الوقت لم يتسع لى أثناء زيارتك كى أفصل لك ماوقع لى
اليوم تفصيلا كافيا • فالله وحده يعلم كم قاسيت من الآلام وتحملت
من الاوجاع النفسية فى غضون ساعات هذا الصباح المشنوم •
ولأرانى مغاليا اذا قلت اننى لم أعان - وأنا الشقى المرزأ - مثل
هذا البلاء فى مدى عام كامل فيما مر بى من عمرى الحافل بالاحزان •
لقد صحت وغادرت البيت فى ساعة مبكرة جدا ، حرصا على
الفراغ من زيارة المرابى قبل موعد الديوان • وكان المطر ينهمر
ساعتئذ ، والاوخال تغطى وجه الطريق ، فالتفت فى معطفى
البالى ، ورحت أحث الحطى وأنا أقول ضارعا الى الله :

- رب اغفر لى خطيئاتي واكتب لى التوفيق فى هذا الطريق !
فلما مررت أمام البيعة رسمت على وجهى علامة الصليب ،
واستغفرت الله ذنوبى من قلب خالص ، واستأنفت سبيلى ،
منطويا على نفسى ، غارقا فى أفكارى ، لا أكاد أنظر الى مواقع قدمى •

وكانت الشوارع خالية من الناس فى هذه الساعة ، ومن لقيته منهم كان يبدو عليه الهم والكرب . ولاغرو ! فمن ذا الذى يسير راجلا تحت المطر وبين الاحوال فى ذلك الوقت الباكر من الصباح ، الا أن يكون شقيا منكودا ؟!

وعبرت بى فى الطريق جماعة من العمال عليهم ثياب ملطخة بالزيوت وانسجم والاوساخ ، وليست اكفهم بأنظف مما عليهم من الثياب ، فحتك بى أولئك المناكيد حتى أوشكت أن أقع . وكانما كنت أنتظر هذه الصدمة الحبيثة كى أفارق ما أخذت به به نفسى من الجلد والهدوء ، فاذا القلق ينتابنى ، واذا أنا أخشى مجرد التفكير فى ذلك المبلغ الذى كنت فى طريقى الى اقتراضه من ذلك المرابى . . .

وحين بلغت « قنطرة القيامة » انفصل عن حذائى أحد نعليه ، وما أدرى كيف استأنفت سيرى بعد ذلك على هذا الحال الغريب . . . وما سرت خطوات معدودات حتى لقينى أحد الموظفين فى الديوان ، فجعل يصعد فى نظراته ، ويتأمل هيئتى الغريبة ، ثم هز رأسه أسى كأنه يقول :

— أفى هذه الساعة ينكب الناس على الشراب ؟

ثم انتابنى تعب شديد ، فتمهل قليلا حتى استرددت شيئا من قواى المنهوكه ، ثم واصلت المسير وأنا أتلفت حولى لعلنى أجد شيئا أشغل به خاطرى ، حتى لاتخوننى شجاعتنى فأعـود أدراجى . . . ولكن عيـثا ، فلم أجد لذهنى مشغلة غير حالى .

وكانت ثيابى قد اكتستت بالاحوال ، حتى تنأثر منها على صدرى ووجهى رشاش ، فلحقنى من ذلك خجل شديد ، بدد مقاومتى وأوهى جلدى . . .

ثم لمحت على البعد بيتا من الخشب أصفر اللون ، فقلقت أمنى النفس وأهون عليها مشقة المسير :

- هذا هو أخيرا بيت ماركوف المرابى . . لم يبق عليه الا القليل . .

وكنت واثقا من البيت ، بيدانى أحببت أن أستوثق ، فسالت البواب ، وكان رجلا جلغا ، فأجابنى فى جفوة وفضاظة واقتضاب :

- أجل . هذا بيت ماركوف .

فلم آبه لغلظته ، وإن كانت قد تركت فى نفسى أثرا سيئا . وقد جربت فيما مضى من عمرى أن من استبشر خيرا أفلح فى مسعاه ، ومن انقبضت نفسه لم يلق الا ما يحزنه ويسوؤه . . وقد أوقع ذلك البواب فى نفسى كآبة ، فبدا على التردد ، وقر فى ذهنى ان الرجل رافض طلبى لامحالة ، وقفزت الى خاطرى كل عوامل التثبيط ، فتذكرت أن الرجل لا يعرفنى ، فهو اذن حرى الا يثق بى . . ولا سيما أن مظهرى لا يشجع على الاحترام . .

وكاد التشاؤم يثيننى عن الدخول ، لولا اننى قلت لنفسى : - دع المقادير تجرى فى أعنتها ، وليكن مايكون ، وعلى أن أسعى وليس على ادراك النجاح . . . ولئن حاولت وأخفقت فقد أعذرت .

وهممت أن أدفع البوابة الصغيرة فى سكون وهدوء ، ولكن كارثة جديدة أفسدت على هذا العزم : فقد انبرى لى كلب صغير خبيث ، فجعل ينبح بكل قوته نباحا متواليا . .

ولا تحسبى مثل هذا الامر الصغير تافه الاثر ، فما أوهن هذه التوافه لعزمات الحائرين أمثالى !

وتوكلت على الله مستعيذا به ودخلت ، فاذا كارثة أخرى تنتظرنى وراء الباب : فقد كان المدخل مظلما ، فلم أتبين موضع قدمى ، وكانت وراء الباب امرأة عجوز تصب اللبن من قعب كبير

فى آنية صغيرة ، فاصطدمت بها بفتة ، فطاح القعب من يدها
وتدفق اللبن منه على الارض ، فجعلت تعوى وتتفجع وتصيح
- هل أنت أعمى أيها الشيخ؟ الا ترى ما صنعت ؟ ماذا تريد
هنا ؟

ثم تدفقت الشتائم من فمها مختلطة بالتأوهات والزفرات ...
وانى أقص عليك هذه التفصيلات عمدا ، لان أشباهها تحدث
لى على الدوام فى كل أمر أحاول قضاءه ، لسوء طالعى ... فما
من مرة من هذه المرات الا أوقعنى نحسى فى أحد أو فى شيء ما
كان ينبغى لى أن أقع فيه .
وجاءت على الضجة امرأة عجوز قبيحة الحلقة ، فبادرت إليها
سائلا :

- أهنا يقيم السيد ماركوف

فقلت على الفور

- كلا ...

ثم لما رجعت فى نظرتها الفاحصة قالت بعد تردد يسير :
- وماذا تريد منه ؟

فشرحت لها مرادى فى اختصار ، فنادت المرأة ابنة لها يا فتنة
حافية القدمين وقالت لها بصوت أجش :
- نادى أباك ، فهو عند المستأجرين فى الدور الاعلى

ثم قالت لى :

- تفضل أيها السيد بالدخول

فدخلت ، فاذا حجرة لا بأس بها ، على جدارها صور كبيرة
الحجم ، مافيها الا صورة قائد أوامير! وفى وسط الحجرة منضدة
مستديرة وايوان للجلوس وأصيص من البلسم .
فلما تركتنى العجوز وحدى قلت لنفسى :

- أليس من الخير لك يا صاح أن تخرج الآن ، قبل أن تتلقى صدمة الرفض القاسية ؟ ... أخرج الآن وعد غدا ، فقد يكون الجو أكثر اعتدالا ، فليس في هذا الصباح ما يبشر بالخير ، فقد أراقت السماء فيه ماء المطر ، وأرقت أنت اللبن على عتبة الدار وليس في مرأى هؤلاء القواد القورين المهيئين الذين يطالعونك من هذه الجدران ما يبشر بالخير والفلاح ! ..

وهممت أن أستقبل الباب ، فإذا صاحبي يدخل منه .. وإذا هو رجل أشيب الرأس ، عليه ثوب من أثواب البيت باهت اللون تعلوه طبقة من الاوساخ ، فسألني عن الباعث لى على زيارته فقلت له ان « ايميليان » ايفانوفتش « هو الذى أرسلنى ، لاننى بحاجة الى أربعين روبلا لشأن عاجل ، فرأيت فى عينيه رفض طلبى واضحا ، ثم قال لى :

- لاجدوى من الحديث ، فليس لدى ما أقرضه .. ثم هل معك ضمان أو رهن ؟
فأجبته :

- ليس عندى ضمان أو رهن ، ولكن ايميليان قال انك رجل نجدة ، وأنا بحاجة ماسة الى هذا المبلغ فورا وبأى ثمن ..
فأصغى لكلما تى كلها حتى انتهيت ثم قال :

- لاحيلة لى ، فليس عندى مال فى الوقت الحاضر .
فوددت فى هذه اللحظة لو أن الارض انشقت فابتلعتنى يا فارينكا . . ولكن الارض لم تنشق ، وبقيت قائما فى وسط الغرفة ، فى ملتقى نظرات القواد العظام المعلقة صورهم على الجدران وقد دارت بى الارض الفضاء ، واستولت على قشعريرة مباغته وخانتى ركبتي وبتأى وتخاذلت ذراعى وجعلت أنظر الى الرجل ، والرجل ينظر الى ، وتكاد نظرتة تصبح بى :

- أخرج أيها الرجل ! ماذا يبقيك بعد هذا ؟

ولكنى تجلدت وبقيت حيث كنت ، فقال لى فجأة :

— ولماذا تريد هذا المبلغ ؟

فعببت لتطفله الجرىء ، ومافتحت فمى لاجيبه حتى عاد الى الكلام دون أن يصغى لما كنت سأقوله :

— كلا ! كلا ! فليس لدى مال والالاديت لك هذه الخدمة عن طيب

خاطر .

فحاولت اقناعه ، ورحت أتكلم وأتكلم ، مهونا من قيمة المبلغ الذى أطلبه ، مؤكدا له عزمى على الوفاء به قبل أجله المضروب ، واستعدادى لدفع أيما فائدة يطلبها بغير مماكسة .

وكانت صورتك ياملاكى العزيز هى التى شددت عزمى وأملت لى فى هذا الالحاح . ولكن الرجل ظل على صلابته فلم يلن ، وجعل يردد فى اصرار : . .

— لافائدة من الكلام فى الفائدة والربح ، فقد كنت أفكر فى اقراضك لو كان معك رهن أو ضمان ، أما هكذا يا صاحبي فلا ! ليس عندى مال . . أقسم لك بالله العظيم اننى لأملك هذا المبلغ ، ولو كان معى لما ترددت فى اعطائك اياه . والله على ما أقول شهيد .

ما أشد تبججه وهو يقسم أنما غير متخرج !

ولم أدر والله يا اختاه كيف عرفت طريق الخروج ، وكيف اخترقت الشوارع دون أن أضل طريقي ، فما كانت فى ذرة من الرشد . .

ولم أصل الى مكتبى فى الديوان الا بعد أن تجاوزت الساعة العاشرة ، ووقفت فى دهليز الديوان قليلا ، ثم فكرت فى تنظيف كسائى مما علق به من الوحول ، بيد أن «سنييجيريف» الحاجب نبهنى الى أن هذا العمل من شأنه أن يوسخ الفرشاة ، والفرشاة مما يستعمله سعادة المدير . ثم انها من أملاك الدولة التى ينبغى أن تصان من العبث والتلف . .

الى هذا الحد يا أختاه بلغ بى الهوان ، حتى على الحجاب والخدم ..
 فلانا أهون شأننا من حزمة من القش يسمونها فرشاة ..
 وهذا الهوان يا أختاه هو الذى يقتلنى غما وهما .. فليس
 الافلاس والفقر الى المال فى ذاته شيئا ، لولا سقوط الكرامة
 وضياع الهيبة .. ولولا ذلك الهمس والغمز واللمز ونظرات
 السخرية التى أقابل بها فى كل مكان ..
 واما لى يا أختاه ! لقد مضت الحلاوة عن أيامى ، ولن تعود
 اليها ..

لقد تلوت خطاباتك جميعا فى يومى هذا ، فأورثتنى هذه
 القراءة حزنا على حزن ..
 وداعا يا صديقتى ، وفى حفظ الله !

مقار ديوفشكين

ملحظ : لقد حاولت أن أمزج قصة اخوانى بالفكاهة ، فجاءت
 الفكاهة مريرة المعالم ، كأنها أنين أخطأ مخارج الصوت . وكم
 كان بودى أن أتبع نصحك فلا أكثرث .. ولكن هيهات ..
 وسأتى لزيارتك عن قريب ..

١١ أغسطس

بربارة ! يمامتى وأختى !
 لقد ضعننا وانتهى الامر ! نزلت الكارثة بى وبك ، فقضت
 على سمعتى وشرفى ، وأصابك منها رشاش غير يسير ! لقد بت
 مضغعة فى الافواه ، وأضحكة للصغار والكبار ..
 لقد اجترات ربة البيت على ، وأطلقت لسانها فىنا بما وسعها
 من التهم والسباب ، لم تدخر تصريحاً ولم تال فى الاقذاع
 جهدا .. وكنت أنا سبب هذا البلاء الذى حاق بك منه أسوأ ما
 يحيق بامرأة مخدرة ..
 فبالأمس ، وقد أقبل الليل ، أخرج صديق من أصدقاء جارى

« راتازايف » مسودة خطاب كتبته اليك ، وكانت قد وقعت من جيبي لشروود ذهني وضعف بصرى دون أن أدري .. وأخذ يقرأ هذه المسودة ، والسكان جميعا من حوله يعلقون على عباراتها بنكات مقذعة وسخرية لاذعة .. فثرت ووصمت جارى « راتازايف » بخيانة الصداقة وعهد الجوار ، فسخر منى قائلا :
- بل انت الذى خنت العهد ، ورحت من وراء ظهورنا تقتنص قلوب الغانيات ، أيها الغوى المضل الكهل زير النساء ..

فانطلقوا جميعا يصيحون بى :

- زير النساء ! زير النساء !

وباتوا لا ينادوننى الا بذلك اللقب الشائن ! فما أشد خجلى وخزى ! هم اذن يعرفون كل شىء . هم اذن على علم بدقائق حياتنا وما بيننا من مودة وتعاطف ..

والانكى من هذا ان الخادم « بالدونى » بات فى زمرة الهازئين . فلما طلبت اليه اليوم أن يبتاع لى شيئا من السوق ، أبى أن يذهب . ولما قلت له وأنا فى عجب من أمره :

- ولكن واجبك أن تطيع .

أجابنى بوقاحة :

- لست ملزما بطاعتك ما دمت لم تدفع أجر سكنك !

فلم أطق صبرا وصحت به :

- انت وقح

فرد على السبة بمثلها وزيادة ، فحسبته مخمورا وقلت له :

- أراك لست فى حالتك الطبيعية ، وما أحسبك الا

مخمورا ..

فصعر الوغد خده وقال لى :

- وهل سكرت بمالك ؟ لو كان معك ثمن كأس لشربتها ،

ولكنك صعلوك مفلس تعيش على صدقة تجود عليك بها امرأة

علمها عند الله وأهل العلم ..
ثم بصق على الأرض وقال فى ازدراء :
- ومثل هذا العتل يدعوه الناس سيذا !!
.....

هذا يا أختاه هو ما صرت اليه اليوم ، حتى بت خجلان من
نفسى ، مستخزيا من عيشى
أما لهذا الليل من آخر ؟
لقد هبطت حتى لم يبق مزيد من الهبوط ، وقنطت حتى
استنفذ آخر مدى القنوط ..
فحتى متى ؟

مقار ديوفشكين

١٣ أغسطس :

عزيزى العزيز

لقد تكاثرت علينا الازاء ، حتى لم أعد أدري ما العمل ..
وثالثة الانافى يا صاحبى ان المكواة احرقته يدى اليسرى ،
أحرقتها وأنا شاردة الذهن فلم أتنبه الا بعد فوات الاوان ..
وكذلك استحال على العمل حتى تبرأ يدى ..
وهذه فيدورا مريضة منذ ثلاثة أيام ، فلا سبيل لها الى العمل
ايضا ، فأنا من هذا فى هم مقيم .
هاك نصف روبل هو كل ما استطعت الحصول عليه ، وليس
معى سواه .. والله وحده يعلم كم كنت أود أن أمد لك يد العون
فى ظرفك الراهن . . ولكنها ارادة الله !
لقد بكيت قهرا عندما حرقته يدى . بكيت من أجلك ،
فقد كنت أريد أن أعمل غاية جهدى لكى أأمينك على حياتك ..
فتعال لزيارتى اليوم ، ففى ذلك مسلاة لى كما تعلم
بربارة

١٤ أغسطس :

ماذا دهاك بحق السماء يا مقار الكسييفتش ؟ الا تخاف الله ؟
انك تكاد تدفعني الى الجنون دفعا بمسلحك المخزى .. فائق الله في
سمعتك ، فقد كنت على الدوام رجلا فاضلا متزنا أبى الخلق ،
فكيف سولت لك نفسك أن تلتطخ بالعار لمتك البيضاء ؟
انق الله يا شيخ ! لقد ضاقت فيدورا بتصرفاتك ذرعا ،
واقسمت لا تساعدك بشيء من كدها بعد اليوم ، ما دمت تبدد
ما يصل الى يدك في العبث الذي يسقط مروءتك ويفضحك بين
الناس . واني على رأى فيدورا في هذا ، فلن أعطيك بعد اليوم
درهما يا مقار الكسييفتش .

أم تراك تظن انه يستوى عندي خيك وشرك ، فضلك ومجانتك
صلاحك وفساد أمرك ؟ أو تجهل ما أتحمّل راضية من أجلك ؟
لقد أخزيتني باعوجاج سراطك ، حتى بت لا أجرؤ على الظهور في
درج بيتي ، فما يراني الجيران حتى يشيروا الى بالبنان
ويتهامسوا بكلام تقشعر منه الابدان .. ومنهم من لا يخافت
من صوته حين يصمني بالتفريط في شرفي في سبيل سكير
عرييد ! .. أو تحسبني أسر بسماع مثل هذا الكلام ؟

وما من مرة أعادوك الى بيتك غائبا عن الصواب بما عبيت من
الحمر الا تحدث الناس عنك كمالو كان السكر صفة ملازمة لك
لا تستحق مناقشة أو تعقيبا أو دهشة .. فاجعل لك .. حتى
بات بقائي في هذا البيت أمرا لا يطاق بسببك .

أجل ، لقد عزمت على الرحيل عن هذا البيت بأى ثمن .
سأعمل قهرمانة ، أو خادما أو غسالة .. فأى شيء أفضل من
عار صداقتك .

لقد دعوتك في خطابي السابق لزيارتي ، ولكنك لم تأت ..

فهل صارت توسلاتي عندك الى الهوان ، حتى ما تستجيب لى رجاء يا مقار ؟

ومن أين لك ثمن الشراب ؟ نشدتك الله يا صديقى أن ترحم نفسك وترحمنى ، ففى هذا الحمار قضاؤك ، وفيه ضياع سمعتك وسقوط مروءتك .

أرايت الى ربة بيتك كيف أغلقت الباب فى وجهك ولم تأذن لك فى الدخول وقد عدت أمس فى ساعة متأخرة ، تترنج من شدة السكر . . فقضيت ليلتك - أو ما بقى منها - فى دهليز الدار .

أكنت تحسبنى لا أعرف هذا ؟ بل أعرفه يا صديقى ، فكل سر يذيع بين الناس ، ولا سيما أسرار السوء ، وأخبار المآثم . . ولعلك تقدر مبلغ حزنى وخجلي حين سمعت الحقيقة من أفواه الناس هذا الصباح . . فاتق الله فى نفسك ، وفى شرفك ، وفى قلبى المئذب من أجلك ، فانك توشك أن تقتلنى حسرة وأسى . . فما من شئ يعلقنى بالحياة الآن الا أنت . . فمن أجلك يحياى فلا تكن علة مماتى ، ولا تدع أعباء الفاقة تفسد عليك عزيمتك ومروءتك ، فليس فى الفقر ما يعيب المرء ذا المروءة ، وانما يعيبه حقا جنوحه الى المجانة والاسفاف . .

وانى أعلم ان يأسك من يسرحالك هو الذى اودى بما نعتصم به من التجمل والجلد ، فانسقت فى تيار الشراب . ولكنك مخطئ فى هذا القنوط ، فما من عسرة الا الى ميسرة . والله المستعان . . فاعتصم بحبل الله ، واصبر ولا تقنط .

أبعث اليك بعشرين كوبكا لتشتري بها طباقا لغليونك . ولكن نشدتك الله ألا تنفقها فى خبيثة من الحباثت ، وأم الحباثت الحمر !

تعال لزيارتنا ، ودع عنك هذا الحجل ، فلا عليك مما فعلت ،
ما دمت قد تبت وانبت ، والله يقبل توبة التائبين ، وسيجعل
الله لك بعد ضيق فرجا ، والسلام

بربارة

١٩ أغسطس

بربارة ، يا أختي العزيزة !
شد ما يثقل على الحجل ، حتى ليكاد يأخذ على مسالك الانفاس !
ولكن أى ضير فى هذا الذى أقترف ؟ وهل من ضير فى اذابة
الهموم فى كأس سميت كأس الحياة ، « لو مسها حجر مسته
سراء » .. ؟!

أم هل كتب على يا أختاه أن أظل أسير الهموم ، لا أسرى عن
فؤادى بغض ما يغص به من الاوصاب ، برشفة من الشراب ،
تنسيه ما يلقي من دهره ، وما يعلق بسره وجهره ، من الضعة
والهوان ؟

ألا بارك الله فى بنت الحان انما أعب منها جرعة بعد جرعة ،
حتى أنسى نعل حداثى الذى ذهب مع الريح ! • لعن الله ذلك
النعل ، فما ينفك يشغل دماغى فى اليقظة ، ويتراءى فى أحلامى
حين أنام !

وما أدري والله ما لزوم الاحذية للناس ؟ انها قيد وهم • • وما
كان قدماء يونان يتخذون الاحذية ، وانما هى خفاف لطاف ،
فلماذا نعنى أنفسنا بما لا طائل تحته ؟

فأى عار فيما أفعل يا أختاه ؟ انك والله لتقيمين الدنيا
وتقعدينها فى غير جدوى • وأما فيدورا فابلغيها عنى انها امرأة
خواء القلب تافهة العقل عتلة زنيمة خبيثة الطوية !

• • وأما ما عرضت به من شعري الابيض ، فذلك وهم من
أوهامك يا أختاه ، فلسنت من الهرم بحيث تتوهمين • • وان
فى لفتوة !

تقولين انك حزنت وبكيت غما وأنا كذلك بكيت يا يمامتى .
والله تعالى مسئول أن يرفع عنا سخطه ومقته ..
واياه أسأل أن يمنحك الصحة والعافية . أما أنا فبخير حال ،
وانى لك على الدوام يا ملاكى

الصديق الوفى

مقار ديوفشكين

٢١ أغسطس :

سيدتى العزيزة وصديقتى بربارة ..
انى أشعر الآن بجسامة خطئى ، فقد أخطأت فى حقك
خطأ فادحا . وما أخالنى وقد عنيت قلبك الغض وأضنيته
بالهموم الا وحشا ضاريا .. ولكن الحق يا يمامتى اننى لست
وحشا ضاريا ، بل رجل طيب القلب ، هو أشبه خلق الله بالحمل
الوديع ..

فكيف اذن تورطت فى هذه الاخطاء وأنا ذلك الحمل الوديع
الطاهر الفؤاد ؟

لا أدرى ! ولكنى أذكر انك بعثت الى ذات مرة نصف روبل
« ثلاثين كوبكا » ثم عشرين كوبكا بعد بضعة أيام .. فحز فى نفسى
جدا أن أهبط الى هذا الدرك ، وأن تجد فتاة رقيقة القلب مثلك
ان التصديق على أمر طبيعى .. لقد كانت دراهمك أيتها الفتاة
اليتيمة مثل درهم الارملة المتسولة التى وضعتها فى صندوق
النذور ، شيئا يرجع ملايين الاغنياء ، ويزيد عليها فى القدر
.. ثم أحرقت يدك بالمكواة ، ولم يبق لديك ما تأكلين ، ومع ذلك
شغلت نفسك بالاحسان الى ، كى أشتري طباقا أو خبزا .. فلما
انفقت دراهمك فى طعامى وطباقى ، استولى على ندم شديد
.. وما كنت قمينا أن أكل صدقتك أيتها اليتيمة المحرومة
دون أن يعصف بى الندم والحزن .. فكان هذا الندم أقوى من
احتمالى ، ومن « قشرة » الكرامة الرقيقة التى أتجمل بها أمام

نفسى .. فانهارت هذه القشرة ، وجرفها تيار ندمى وخجلى وحزنى
ومن هذه اللحظة بدأت قصة سقوطى ، بعد حياة طويلة من
التماسك ونقاء الصفحة !

فهل تريننى ملومة على هذا السقوط ؟
لا أظن ! وانما هو القدر ، القدر الذى جعل منى العوبة هينة
بين يديه القاسيتين ..

لقد كنت أعالج همومى بالتجول فى الشوارع حين صادفنى
ايميليان ، الموظف الذى رفت منذ زمن من ديواننا ، وكان
يحمل أشياء يريد ارتهاؤها ، لان عياله جياع .. ولكنها أشياء
لا تترهن ، فليست لها قيمة الامن حيث هى تذكارات شخصية
وأخذتنى به الشفقة ، ورأينا حانة على الطريق يشع منها الدفء
.. وكان الجو باردا يا بربرة ، فملت معه اليها ، وشربنا كأسا ،
ثم شرعنا فى البكاء معا ، على سوء حظنا وسواد أيامنا ، فوجدنا
فى البكاء راحة ، ثم شربنا كأسا أخرى ، وجعلنا نتذكر الآمنا
وأحزاننا .. وتحدثنا عنك كثيرا يا يمامتى .. فبكى ايميليان من
أجلك ، فهو رجل طيب القلب ، ولكنها مظالم الايام !

فلا تحسبى يا يمامتى اننى أجهل ما أنا مدين لك به ، فأنا مدين
لك بالحياة كلها ، فقبل أن أعرفك لم أكن حيا ، لقد كنت وحيدا
لا أشعر بنفسى أو بمرور أيامى .. كنت كالنائم ، والنائم أخو الميت ،
لا احساس له بالدنيا وما فيها .. وكان معارفى يحتقروننى شكلا
وموضوعا ، حتى انتهى بى الامر الى تصديقهم ، فاحتقرت نفسى ..
ثم ظهرت انت يا ملاكى فى أفق حياتى ، فبدلت ظلامها نورا
مشرقا ، وبعثت الحياة فى نفسى الموات ! .. وبدأت أعى وجودى ،
وأشعر أن لى قلبا ، وان لى روحا ، وان لى نفسا كنفوس البشر !

وفى فيض من نورك الذى أفاته على نفسى ، عرفت معنى
الطمأنينة ، وهدوء السريرة ، وانجاب عنى الشعور بالمهانة
والدونية ، وبت أرى نفسى كفتا لاي انسان ممن كنت أحسبهم

خيرا منى بمراحل .. ولم تعد تكربنى زراية مظهرى وقماءة
قامتى ، بعد أن صبح عندى قيام شخصيتى الانسانية بما انعقد
بيننا من صداقة وتقدير .

فلما كثرت على المحن ، وتداعى ذلك التقدير الذى كنت
استمده منك ، انهارت ووحى المعنوية ، ولم يقف سقوطى عند
حد ..

فاذا اردت بى رحمة فاطوى هذه الصفحة ، ولا تجرى لها بعد
اليوم ذكرا ، لانها تهيج مابى ، وتمزق شغاف قلبى .
ولك خالص احترامى وصادق مودتى

مقار ديوفشكين

في متاهة الزمن

٣ سبتمبر:

لقد عاقنى الحزن والاسى عن اتمام خطابى السابق اليك
يامقار .. فحين تجثم الكتابة على صدرى لا اجد فى نفسى
مطوعة على الكتابة او الحديث، واركن الى الخلوة كي اترك
نفسى على سجيتها ، واطلق العنان لاجزائى ودموعى ..
وارى هذه السحاب السوداء قد كثرت فى الايام الاخيرة
كثرة عظيمة ، حتى صارت اشباح الماضى وتذكاراته تحف بى
اكثر مما تحف بى حياتى الواقعة . وقد تستغرقنى هذه
التذكارات حتى انسى الزمان والمكان وكان الواقع قد تلاشى
من الوجود .. وقد تدوم هذه النوبات ساعات متواليات ..
واكثر هذه التذكارات مما يرجع الى عهد الطفولة الناعمة
فى احضان الريف ..

واما صحتى ، فهى تزدد على الايام ضعفا ، واحسب هذه
الذكريات علة ضعفى واستنفاد عافيتى ..
بيد انى ارى هذا الصباح صحو الاديم مشرق الضياء ،
على غير المعهود فى ايام الخريف . . الا شدا ما كنت احب
الخريف ، ايام كنت فى القرية طفلة مرخاة العنان بين الماء
والزرع والهواء ، مستقلة بمشاعرها .

فى تلك الايام ، كنت اوثر امسيات الخريف على صباحه
ولا سيما على حفاقي البركة الكبيرة التى تجاور بيتنا ، عند
سفح التل . فهناك كنت اجلس اذا ارخى الليل سدوله ، واوت
الماشية الى مزادها ، وسكنت كل نامة فى القرية . فاذا صفحة
الماء فى سكونها وصفائها كأنها سبيكة من البلور ، ودخان
الخشب المحترق امام كوخ للصيادين يملأ الهواء الساكن

برائحة خفيفة ، والندى يرصع نابت العشب الاخضر بلؤلؤة في اثر
لؤلؤة .. ولللهلال في صفحة السماء الصافية للاء وبهاء يملأ النفس
بهجة وهدوءا .. فاذا خفق جناح طائر ، او روعه عن وكره
مروع فصوت فزعا ، ملا ذلك الصوت آفاق الفضاء . . لان
سكون الليل الرطيب قد احوال الجو الى صندوق من صناديق
الكمان الرنانة ..

شد ما كنت آتس الى هذا السكون الذي يزيل الحوائل
بين نفسى وبين رحابة الكون اللامتناهى ! ..
كذلك كان الخريف وامسياته الحسان في ذلك الزمان .. حتى اذا
حث الخريف الخطى ، وجاء في اعقابه الشتاء ، نقلت مسرح
خواطرى من ضفة البحيرة الى مسالك الغابة ذات الدوح المنيف
والظل الوريث ، الذى يضرب الضوء فيه الى الزرقة في النهار
حتى اذا قربت ساعة الاصيل استحالت الزرقة سوادا حالكا .
وكثيرا ما كنت انسى نفسى في نزهتى ، فيهجم الليل
وتترأى لى الاشجار الباسقة كأنها المردة تهم بالانقضاء على
وانا اسير وحدى في قلب الغابة الموحشة .. فأحث الخطى ،
وقد جعل قلبى يخفق ويضطرب فكأنى ورقة تتقاذفها الريح ،
التى اسمع عزيفها بين الفصون وأحس به يقترب منى كأنه
زمزمة تطلقها أفواه الشجر .. وأخالها تقول لى في صوت أجش
يقطر رهبة ووعيدا ..

- اسرعى أيتها الطفلة .. ! اسرعى .. ! فليس هنا مكانك
فهو مسرح رهيب لرهيب من الاحداث يكتم سرها الليل الكتوم
فأجربى ما اسعفتنى قدمائى وساقائى ، حتى أصل الى بيتنا
مبهورة الانفاس ، فاذا الضوء ينبعث من السراج ، والدفع
يشيع فى الحجرات ، والاصوات المانوسة تملؤها بهجة وامنا .

فأجلس الى مربيتي العجوز ، فتقص على قصصا رائعا ،
تشارك في روعته مخيلتي الناشطة .. حتى ليحفو النوم
اجفاني في بعض الليالي ، لكثرة ما تشغل تلك الاقاصيص بالي ،
بما فيها من سحرة ومردة ومغامرات .. ولكني كنت اجد
نفسى عند مطلع الصبح جملة النشاط كزهرة انعشها ندى
الفجر ، وايقظتها قبلات ضوءه الحانى ..

ومع الصبح تبدأ حياتنا الهائلة الهائلة . فنجلس قرب نار
الموقد ، ونخلق باناء الشاى الكبير (الساموفار) ، ويدخل
علينا كلبنا « بولكان » وقد جلله الندى لانه بات تحت الظل في العراء
امام باب البيت ، فيحيننا يبصبصة من ذنبه الكث الشعر
ويجلس بيننا ، كى ينعم بالدفع .. وكأني بنا كنا نسمع خفق
اجنحة السعادة وهى ترفرف فوقنا ، فالمحصول وفير ،
والدفع يشملنا ، وكل شئ يبعث على الرضى والطمأنينة .

هاهما عيناي وقد استهلنا بالدمع لذكرى تلك الايام الخوالى ،
التى بدل الزمن المبدل امنها حزنا ، وانسها وحشة ، وصفاءها
كدرا ، وجمالها قبحا ، وطمئناتها بلاء وهما مقيما ..

اما لهذا الليل من آخر .. ؟

انى لا توجس من هذا الخريف شرا ، وتحدثنى نفسى انه
سيشهد ختام ايامى ، فالمرض يلح على الحاحا شديدا ..
وما بى خشية الموت ، ولكنى لا احب ان ادفن فى ارض المدينة
التى تضيق بالناس ولا تبدى لهم الا الكزازة والكنود ..
وما حيلتى . . ؟ ان العلة تزداد فوق صدرى جثوما ،
حتى لاخشى ان الزم الفراش ، وما غادرته الامنذ ايام معدودات
شد ما تثقل على الوحدة .. ففيدورا اليوم غائبة عن الدار
فى شأن من خاص شئونها ، فاسلمتنى الوحدة الموحشة

للكآبة والتشاؤم .. ولعل هذه الوحشة هي التي املت على هذا الخطاب الطويل ، فالكتابة اليك تونس وحدتي وتبدد وحشتي ..

ولكن ما غندي من الورق قد نضب معينه ، فلا محيص عن انهاء عند هذا الحد ..

لقد بقي من ثمن ثيابي والقبعة التي بعثها بالامس روبل من فضة ، ابعت به اليك كي تحاول اصلاح كسائك قدر ما تستطيع وان كان قد صار الى حالة تستعصى علي كل اصلاح .. اراني تعبت واصابني الكلال .. ولست ادرى لماذا يسرع الى التعب وشيكا لاقل مجهود .. حتى ما ادرى ما اصنع لو ساق الى الله عملا .. ما احسبه الا قاتلي ..

بربرة

٥ سبتمبر :

يمامتي وعزيزتي فارينكا !

تداولتني هذا الصباح احساسات شتى ، حتى اضطربت نفسي ، فرحت انشد عند الاصيل شيئا من الراحة والهدوء على الشاطئ .. وكان المساء حالك الظلمة ، وفي الجو اثاره من الرطوبة .. ولم تكن الساعة مع هذا قد جاوزت السادسة وكانت صفحة السماء مغطاة بالغيوم ، وعلى شاطئ التربة زحمة من الناس تساوق زحمة السحاب في افق الليل ..

ومن عجب ان ذلك الجمع الحافل من الناس لم يكن فيه الا كل وجه هضيم ، وكل سحنة للكتابة عليها مسحة وذبول . وجميعهم من نفاية المجتمع بين نسوة ورجال ، فليست ترعة « فونناكا » من منزله السادة واهل السميت .. !

وضيقت بالمكان ورواده ، فعدلت عنه الى شوارع المدينة

فساقتني قدمي الى شارع « جورو خوفيا » .. فاذا انوار وحركة وتجارة نافقة وواجهات جميلة وازهار موقنة ..
وقد حسبت والله ان كل هذا الجمال المختلف الالوان مما جعل للزينة ولذة العيون والأذواق ، ولكني رايت نفرا من الناس يشترون ذلك الجمال ، فيحصلون عليه لقاء ما يبذلونه من المال ..

واما أرض الشارع ، فما ادري والله كيف كانت تتحمل كل هذه العربات المظلمة التي كانت تدرج فوقها غادية رائحة ، في ابهة وخيلاء : فالزجاج لامع كأنه المرايا المصقولة ، ومن خلفه الخز والدجاج ، يجلس بين ثناياه فتية موشاة صدورهم ، وفي جنوبهم الاسياف الصقال .. ونساء كانهن الاقمار ، عليهن الدر والياقوت وريش الطاووس .. وعليهن جلال الامارة .. فلعلمهن من الاميرات ، وان لم يكن اميرات فدوقات أو كونتات وما اشوقني ان ارى اميرة او كوننة راى العيان عن كتب .. !
ولكن هيهات .. ! لا يكلف الله نفسا الا وسعها .. !

لقد خطرت ببالي في تلك الساعة يا يمامتي الجميلة ، وصديقتي العزيزة .. وما تخطرین ببالي ، حتى يتنزي قلبي الما لما تلقين من دهرك الفشوم وقضائك الظلوم .. !
بماذا تفضلك يا يمامتي اى واحدة من هاتيك المترفات الناعمات ، وانك لطيفة النحيظة حلوة الشمائل ، سرية النفس ، زكية الفؤاد ، وانك لحسناء كالبدرة ليلة التم ، رقيقة كالزهرة فلماذا يا الهى تشقى من ليست للشقاء بأهل .. ؟ لماذا التمس اسباب السعادة فتخطئها جميعا سببا بعد سبب .. !

اغفرى لى يا اختاه هذه الثورة المتمردة ، فاني عالم انها خطيئة وكفران لا يليق بالرجل الفاضل ، لانها من قبيل الافكار

التقدمة الملعونة .. ولكنى لا املك - مع هذا - الا ان اتسائل مرة اخرى : « لماذا يشقى اناس وينعم آخرون .. ؟ لماذا يكتب الشقاء على قوم دون ذنب ، ويكتب الرغد وخفض العيش لقوم آخرين دون استحقاق ؟ »

هذه والله حيرة العقول ، وحيرة الضمائر والقلوب .. ! فكم من مخلوق لا يساوى ملء اذنه نخالة .. فلا فكر ولا احساس ولا ذوق ، هبطت عليه محابة القدر ، فقال له :

- اسمع يا هذا .. ! لست شيئا ، ولكنى اريد لك ان تتمتع بكل شيء .. ! فهذا ميراث جدك الراحل يغفل عليك اكدا من الاموال ، فكل واشرب ، وكل ما اشتهيت فهو لك .. فهذه ارادتي ، ولهذا ينبغي ان تعيش !

فلماذا لا تكون لك يا يمامتى عربية مطهمة ، واثواب من خمر وديباج ، فسيتجدي القواد والامراء نظرة من عينيك الساحرتين وانت تتيهين عليهم بجمالك وشبابك النضير .. ؟ !
لماذا لا تجدين شبع بطنك من جوع ، فلا تكدحى وانت مريضة ، حتى يشتد عليك الهزال وتصلح عليك الادواء ؟ !
لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا .. ؟

لو كان لك شيء من ذلك لكان حسبي من الدنيا وما فيها ومن فيها ان ارمقك من بعيد وافرحت لهناك ومجدك ..
ولكنك والسفاه ، فتاة يتيمة ، بلا مال ، وبلا معين ، وبلا سند يقيك غائلة الدهر ، وغائلة ذئاب البشر ، اولئك الوحوش الذين لا ينظرون اليك الا نظرا الصائد للطير والباشق للعصفور ياتمرون بك لانك ضعيفة ، مهينة الجناح ، بلا ابوين وبلا مال .. !

الا قاتل الله الفقير يا اختاه !
وقاتل الله رجالا يعدون على من لا حامى لها ولا راع ، فهم

أشباه رجال ولا رجال ، وذئاب وبنات آوى في أجلاذ آدميين . . !
ويا رحمتا لنا نحن عيال الله الفقراء من عباد الله الذين حباهم
الثراء وسلبهم الأريحية والآباء !

خير منهم والله عازف الأرغول الذي يجهد شذقيه وعصره
كي يرسل انغامه العذاب سلوة للناس . . فهو انسان كريم ،
يمنح الناس لذة ومتاعا ، وليس ساطيا عليهم يسلبهم أمنهم ،
متى امن المقاومة والعقاب . .

وانا يا اختاه من طراز هذا العازف الفقير الهين الشأن ،
فانا ايضا ابذل طاقتي في إعطاء المجموع الذي أعيش فيه ثمرة
جهدي المتواضعة ، ولا أسطو على احد باغيا عاديا . .

لقد وقفت يا اختاه ارقب منذ أيام جماعية من الاطفال
الحفاة العراة ينتفضون من شدة البرد ، وأهمهم المعجوز - من اثر
الفاقة لا بفعل السن - تستندى اكف المارة بقصة جوعهم
وفاقتهم ، وما نزل بهم من كوارث شداد . . فكان المارة
يضيقون بها وينهرونها ويمضون في طريقهم ساخطين . . فعرفت
باختاه ان ذوى السبار لا يحبون من الفقير ان يصرخ في آذانهم
بقصة شقائه ، فذلك قمين ان يفسد عليهم جوههم الناعم
وعيشهم الخفيض . . فالفقير شيء منكر قبيح . . والناس
يكرهون المنكر والقبيح . . !

عفوا لهذا الاستطراد ، فاني اجد في كتابة جميع خواطري
اليك راحة وسلوى ، فقد ابت من نزعتي مكدود الخاطر ،
تعترض القصص حلقى ، ولا اجد للحياة طعما سائغا ، فاذا
« جورشكوف » - ذلك الموظف المفصول من الخدمة الذي يعيش
واسرته كلها في غرفة واحدة من بيتنا ، والذي مات احد اولاده
منذ مدة قريبة - اذا بهذا الرجل يدخل غرفتي في استكانة

ومذلة ، ويطلب منى - منى انا - ان اعطيه شيئا لبنيه الذين
اضر بهم الجوع .. !

اختاه .. ! ان هذا فظيع !

لقد حاولت ان افهمه اننى مثله رجل فقير ، واننى حاولت
الحصول مثله على قرض فلم افلح ، ولكنه ظل يردد على
سمعى جوع اولاده وحاجتهم الى الخبز القفار منذ يومين ،
وان سائر السكان يضيقون به ولا يفهمون ولا يرحمون . . .
فتذكرت ان الناس لا يفهموننى ولا يرقون لفقرى وحاجتى ،
بل يهزأون بى .. فاعطيته العشرين كوبكا التى كنت قد
حرمت نفسك منها لتبعثى الى بها .. فجعل يشكرنى بعبارات
متعثرة ..

فسالته كيف انتهى الى هذا الفقر المدقع ، فحكى لى قصته
وانها لعجيبه من عجائب الظلم وسوء الطالع .. فقد كان يعمل
فى احد دواوين الحكومة ، عملا يتصل بأعمال المقاولين الذين
ينشئون الدور الحكومية ، فزور ذلك المقاول فى اوراق
العمل دون ان يدري جورشكوف المسكين ، فلما ضبط التزوير
جر المقاول الخبيث جورشكوف معه الى التهمة ، ففصل من
العمل . . . فقدم جورشكوف تظلما ورفع الى القضاء قضية
تعويض ضد المقاول .. ولكن هذه الامور كما تعلمين رهن
بالوساطات والنفوذ . . . وجورشكوف مثلنا لانفوذ له ، وليس
محسوبا على احد من ذوى النفوذ . . . فانقضت سنوات
دون ان يفصل فى هذه القضية التى لا تزال تتعثر امام دور
المحاكم ..

ومن يدري .. ؟ ان الامل فى انصاف امثاله جد قليل . وانى
لارق له رقة شديدة ، حتى ما يدري كيف سيواتينى النوم
هذه الليلة .. ؟

ان هذا المسكين لا يجد عملا لان فصله من الخدمة سلبه حقه في الثقة به ولو كان رجلا شريفا. . . والبطون لا ترحم يا اختاه !
وقد ساءت صحته في الشهور الاخيرة ، ولا سيما بعد موت ولده ، واصابه داء لا أمل في شفائه منه . . فهو أشقى مني بكثير ، وشقاؤه يزعجني ويقض مضجعي ، ويجعلني أكرسوا إلى - رباه . . ! لماذا كل هذا الشقاء . . ؟ وماذا يمكن ان تكون الحكمة منه . . ؟ !

ولكنني أثوب الى رشدی واستغفره سبحانه . . انه هو العزيز الحكيم والرحمن الرحيم

...

والآن سلاما يا يمامتى . . ومتعك الله بالعافية . . فانت ريحانتي التي استروح منها الحياة حين يخطر ذكرك بيالى المكدود . . وحتى اذا تأملت لك حين اذكرك ، فما اعذبه من ألم لانك موضوعه الجميل يا صديقتى ونور ايامى . .

مقار ديوفشكين

سيد الله

٩ سبتمبر

أختي بربارة الكسيفنا !

أكتب اليك وأنا في حال من الاضطراب ليس عليها من مزيد .
فقد حزني الحادث الذي مر بي اليوم هذا عنيقا . . . حتى ما أدري
كيف أبدأ بالأقضاء به اليك . فهو شيء غير منتظر ، وليست له
في ظننا سابقة بشير ، وإن كنت قد رأيت في المنام منذ ليل رؤيا
تبعث على الارتياح . . . وأحسب هذا الذي وقع لي اليوم تأويلها ،
والله أعلم !

ألم أقل لك في خطابي ان الله هو العزيز الحكيم ، الرحمن
الرحيم ؟ . . .

هو كذلك سبحانهك ولاشك !

بالامس حضر الى مكتبي « تيموثاوس ايفانوفتش » رئيس
الادارة ، وتواضع فكلفني شخصيا بكتابة وثيقة هامة عاجلة للعرض
على سعادة المدير العام ، وأوصاني أن أجود الخط ، وأنمق التنسيق
فكتبتها على خير ما وسعني في تلك الساعة ، فقد كنت بالامس
يايما متي على غير ما يرام ، ضيق صدر وشروود ذهن . . . وكانت
صورتك لا تفارق مخيلتي . . .

ولست أدري أي شيطان من شياطين النحس ركب يدي في
تلك الساعة ، فنسيت سطر اكاملا ، فأصبحت الوثيقة كلها
ولامعني لها . . . دون أن يفتن الى ذلك أحد . ويظهر أن الوقت
لم يتسع أمس لعرضها على المدير العام ، فعرضت عليه في أول
هذا النهار .

وذهبت أنا اليوم الى المكتب خالي الذهن ، فجلست كالعادة
وانصرفت الى الكتابة والتجوير . . . ولا أكتفك أن أعصابي قد أضحت
في المدة الاخيرة شديدة التوتر ، وصرت أتجنب النظر الى وجوه
الناس ، حتى لا تلتقي عيناي بعيونهم . وإذا أحدث كرسى من

كراسي الموظفين صوتا خفيفا اضطربت له وقفت من مقعدي
وجلا !

بيد اننى كنت هذا الصباح فى حالة أشد نكرا من مألوف
أحوالى ، حتى أن الكاتب « أكيوفتش » - وهو من شرار
الخلق وأكثرهم رقاعة - سألنى :

- ماذا بك اليوم يا مقار ؟ انك لتبدو مقلوب السحنة !

ثم قلب سحنته ليقلدنى ، فانفجر جميع من فى المكتب ضاحكين
وشعرت بالعرق يتصبب من جبيني فى هذا الجو البارد ..
وانكمشت فى مكانى خزيا ، وأغمضت أعفانى كى لأراهم وهم
يتلوون من شدة الضحك . فتلك عادتى اذا سخروا منى ، فالمقاومة
تغريهم بالاستمرار فى العبث ، والاغضاء يصرفهم عنى .

وفى هذه اللحظة بالذات سمعت ضجة فى الدهليز
الخارجى ، ووقع أقدام تجرى من هنا وهناك ، ثم سمعت ما أنكرته
أول الامر ، وعزوته الى وهم من أثر ما حدث حولى من الاعيب
أولئك الحباء .. ولكن الصوت تكرر وازداد قربا ، فأيقنت أن
أذننى لم تخدعنى .. وان هناك من ينادينى فعلا وصدقا .
فاشتدت عندئذ دقات قلبى ، واستولى على فزع جانح .

ولست أدرى على وجه التحقيق علة هذا الخوف الذى أصابنى ،
ولعله راجع الى اننى كنت دائما رجلا مغمورا لا يكثر لى أحد ،
ولم آلف أن ينادينى أحد ليسدى الى يدا ، فما يذكروننى الا بالسوء !
وبلغ من هلعى اننى زدت تشبثا بمقعدي ، وتجاهلت اننى
سمعت النداء باسمى مثنى وثلاث ولكن ضجة المنادين اقتربت منى
حتى صارت لصق أذننى .

وصاح فيها أحدهم - حتى أوشك أن يخرقها بسياحه :

- ديوفشكين . ديوفشكين .. هيا يارجل ، اسرع ! فانت
مطلوب فى مكتب سعادة المدير العام ..

- المدير العام ؟

- أجل ! فقد أفسدت وثيقة الامس ، ونجم عن ذلك بلاء عظيم .
فأحسست كأن الصواعق قد انقضت على أم رأسى انقضاضا ،
وسرت البرودة الى أطرافى ، وشلنى الفزع الاكبر . . ولكنهم
لم يدعوا الى فرصة للراحة واسترداد جاشى الذى أطاشت
الصدمة المباغتة ، فسعادة المدير العام فى الانتظار ، ولا ينبغي أن
يظل سعادته فى الانتظار .

ومشيت كما يمشى حالم فى المنام ، غير شاعر بشئ مما يدور
حولى ، فأنا أقرب الى الموتى منى الى الاحياء . . فجازوا بى حجرة
فسيحة ، من داخلها أخرى ، ومن داخل تلك ثالثة هى مكتب سعادة
المدير العام ، فما شعرت الا وأنا قائم أمامه ، بل « مزروع » أمامه
زرعا ، فقد كانت قدماى كالعائضتين فى أرض الحجرة الفاخرة . .
ومن أعظم المحال أن أصف لك شعورى وفكرى فى ذلك
الموقف العصيب ، فما ذكر اننى كنت أعى شيئا ، سوى مثولى
أمام صاحب السعادة ، الذى كان محوطا بكوكبة من رؤساء الادارات
والاقلام . .

وبلغ بى الدهول اننى لم أسلم على صاحب السعادة ، بل
وقفت هكذا كالجماد ، فاغرا الفم محمق العينين ، وركبتاى
تضطربان من هول الموقف اصططكا .

وحدث فى هذه اللحظة ما زاد موقفى سوءا ، بينى وبين نفسى
على الاقل : فقد رفعت عيني ، فاذا أمامى مرآة كبيرة بطول
الحائط ، رأيت فيها ما أطار البقية الباقية من صوابى : رأيت صورتي
يما تتسم به من ملابس زرى ومنظر منفر . .

وأنت تعلمين يا اختاه اننى كنت أتسلل حتى لألقى الى أنظار
زملائى ، أما صاحب السعادة فلم يدخل فى حسابى من قبل ، لانه
لم يكن يعلم على الأرجح مجرد وجودى تحت ادارته السنوية .
وبدا صاحب السعادة الكلام بصوت ينم عن استياء شديد
وغضب مكتوم . قال .

- كيف وقع هذا منك أيها السيد ؟ أين كانت عيناك حين كتبت هذا التخليط ؟ هذه وثيقة هامة من وثائق حكومة صاحب الجلالة المقدسة قيصر جميع البلاد الروسية ، وقد طلبتها على وجه الاستعجال ، فكيف سمحت لنفسك أن تفسدها على هذا النحو ؟ فيم كنت تفكر أيها السيد وأنت تكتبها ؟ وأى خاطر كان أولى بذهنك من عمل الدولة ؟

والتفت صاحب السعادة الى من حوله من رجال الحاشية ، فهزوا رؤوسهم هزة أسف عميق حتى خيل الى اننى أحدثت الحدث الذى لم يسبق من قبل ، وسمعت - من خلال الضباب الذى غشى سمعى وبصرى - قائلا منهم يقول :

- يالك من مهمل يجر علينا اهمالك أشد المتاعب !
فتحت يدي ، أهم أن أقول شيئا على سبيل الاعتذار ، ولكننى لم ادرك ماذا أقول ، فسكت وأن ظل فمى مفتوحا ! واعترانى خجل شديد وفزع حتى لقد فكرت فى الفرار ! ولكن أنى لي أن أفر وأنا كالفار بين عشرات الهرة الواعية !

وحدث فى هذه اللحظة ، وأنا أغالب فكرة الفرار ما ارتعد له الآن فرقا حتى ليكاد القلم يسقط من يدي ! فقد سقط زر من أزرار كسائى المعدنية ، كان معلقا بخيط واحد واه ، ويظهر اننى لمستته بيدي فانفلت وسقط على الارض ، وجعل يقفز ويتدحرج محدثا صوتا خالته اذناى دوى مدفع وأهول وقعا . .

وهل تدريين أين اختار هذا الزر اللعين أن يستقر ؟ بين قدمي حضرة صاحب السعادة المدير العام . . فكان سقوط هذا الزر ، واستقراره بين قدمي سعادته هو كل ما استطعت تقديمه لسعادته من العذر عن خطئي الجسيم . .

وكانما نبه هذا الزر سعادة المدير العام الى بشاعة مظهرى ، فجعل يصعد بصره فى . . وكانما أفقدتنى نظرتة الفاحصة بقية عقلي ، فانحنيت لالتقط الزر ، ولكن الزر اللعين جعل يفلت من

أصابني ويدور ويتدحرج ، وأنا الاحقه في اصرار ، وقد زودتني الخيبة اضطرابا على اضطراب .. فدارت الحجرة من حولي ، وجعلت أصوات غامضة تطن في أذني ، وخيل الى اني أسمع فالدوني خادما البيت وهو يهزأ بي ساخرا . وشعرت أن كيـانـي الرسمي والانساني كله قد أهدر ، وانني قدمت موتا مدنيا .

وأخيرا استطعت القبض على الزر المشنوم ، فرحت أحاول في بلاهة شديدة أن أعيدته سيرته الاولى في موضعه من كسائي ، كان ذلك أمر في المقدور ..

وجعل المدير يحملني في برهة ثم التفت الى رئيسي المباشر وقال له :

— ما هذا ؟ ألا ترى كيف يبدو ؟ ماذا به ؟

فقال الرجل :

— انه لم يتقدم بأى تظلم من سوء حاله ، وهو يتقاضى مرتبا عادلا بحسب القدر القانوني .. أما مسلكه في العمل خلال خدمته الطويلة فمسلك نموذجي .

— اليس في المقدور مساعدته بشيء .. ولو بقرض يحسب من مرتبه مثلا ..

— لقد قبض مرتبه جملة شهور سلفا .. ويظهر انه يعاني مشاكل خاصة تسبب له عناء كبيرا ، فصفحة خدمته نقيه خالية من مثل هذا الخطأ .

وكان الدم يندفع الى وجهي وأنا أسمع هذه المناقشة التي تدور حول عملي ، وحول خصوصياتي ، حتى كأن لفحة من نار السعير قد ناشت وجهي .. فتمنيت لو وافاني الموت وأنا في مكاني ذاك .

فلما انتهى هذا الحوار الهامس ، قال سعادة المدير بصوت عال :

— أعدوا صورة أخرى من هذه الوثيقة ، وبغاية السرعة !

وانت ياديو فشكين تعال هنا الى جوارى .. أعد كتابة هذه الوثيقة ولا تخطئ في النقل هذه المرة .. وبهذه المناسبة ..

ثم التفت الى جميع من حوله ، فالقى الى كل واحد منهم امرا عاجلا ، فانصرفوا مسرعين ، حتى بقيت معه وحدى ، فأخرج حافظة نقوده قدم لي منها مائة روبل وهو يقول لي :
- هذا ما أستطيع اعطائك يا صديقى ، فخذة ولا تتخرج ، فهو قرض ترده لي متى استطعت .

ودس الورقة في يدي ، وأناصامت لا أستطيع نطقا ، وان كانت كل جارحة من جوارح بدنى ترتجف ارتجافا شديدا ..
فألتحيت على يده أهم أن أقبلها ، فتضرج وجهه بحمرة قانية وشد على يدي وهزها هزة ولى حميم ، كما يفعل الاكفاء .. فشعرت كأننى كبرت بعد صغار ، وارتفعت بعد اتضاع . ثم قال لي فى لطف :

- امض الآن يا صاحبي ، فقد فعلت لك ماوسعنى ، وتحرزمن الخطأ فى المستقبل . اما هذه المرة فعفا الله عما سلف ..
لقد رد الرجل على ما ضاع من كرامتى وشجاعتى الادبية وتقديرى لنفسى ، ورد على ايضا أسباب العيش وصلاح الحال .

وهاك الآن يا اختاه ماقررتة : سأطلب منك ومن فيدورا أن تذكرنا سعادة المدير فى صلاتكما كل يوم . ذلك حقى عندكما ، حق الوالد على بنيه ، فأنتما لي بديل من الاسرة والولد ..
وإى عجب فى هذا الطلب ؟ الست كنت ميتا فأحيا موات نفسى ، وكنت هينا فرفع قدرى وأعلى رأسى ، وكنت مضيعا لالم على اشتات فكرى فرفع عنى هذه اللعنة ، وكنت سيىء الظن بالناس ، وسوء ظننى بالناس يحزننى فوق حزنى لسوء حالى ، فأعاد الى الثقة بالناس ، وبالحير ، وبأصبع العناية التى كنت أفتردها فى شئون البشر ؟ ..

عفوك يا أختاه اذا كنت قد اطلت ، فاني أحس في نفسي اضطرابا شديدا . وما ظنك بمن فقد البصر ففتحت عيناه فجأة على النور في وهج الظهيرة ؟

ان قلبي يكاد ينشق من شدة الحُفْقان ، ويكاد يطير عن أضالعي لكثرة ما يقيمه الفرح ويقعده . . . وأحس الى جانب هذا خدرا في أعضاء جسمي وتفككا في أوصالي، كشعور المرء حين يقطع مرحلة طويلة وهو راجل ، حتى اذا بلغ مراده أحس بما شغلته الرحلة عن الاحساس به من التعب والنصب .

واني أرسل اليك مع هذه السطور خمسة وأربعين روبلا، وسأعطي لربة البيت عشرين روبلا ، وسأصلح شأن ثيابي بعشرين روبلا مثلها ، ويبقى لي بعد ذلك خمسة عشر روبلا لنفقة طعامي وما اليه . .

أما الآن فسأوى الى فراشي، لعلني استجم من هذه الهزات التي توالى على في نقائضها العنيفة هذا الصباح . . . وسأجهد في زيارتك قريبا، أما الآن فما أراني أصلح لذلك، لأن ما بي هو السكر ولا خمر ، فما تلم جارحة مني بجارحة الا بجهد جهيد .

وأختم رسالتي يا أختاه بشكر الله ، فانه حقا هو العزيز الحكيم، السميع العليم ، الرحمن الرحيم . . . واني لك يا يمامتي المعبودة

الولى الصادق الحميم
مقار ديوفشكين

١٠ سبتمبر

عزيزى العزيز مقار
أسعدنى ما أسعدك من حسن الطالع ، وان مدبرك يا صديقي
لاهل لكل صالحة وكل شكران . . . والحمد لله الذى آتاك لك

شيئا من هدوء الهال بعد الذي عانيت من العناء هذا الزمن الطويل .

ولكنني استجلفك بالله ، وبكل عزيز لديك ، ألا تعود الى بسط يدك والتبذير فيما لا لزوم له ، وعليك بالقصد في النفقة ما وسعك القصد ، وأقنع بعيش الكفاف ، ذلك أجمل بك وأحسن عقبي . . . واجعل همك منذ اليوم أن تدخر شيئا من دخلك ، حتى لا تعود الى ما كنت فيه من ضائقة تسقط المروءة وتريق ماء الوجه اذا حزبك أمر من الامور على غير انتظار . . .

اما انا يا صديقي ، فلا تجشم نفسك معاناة ما يكتنف حياتي من الشدائد ، وما كان ينبغي أن تبعث الى بهذا المبلغ الجسيم ، فليست أطمع في شيء ليس عندي ، وأنا بحياتي راضية والحمد لله . . . وليس للمال عندي نفع الا في النقلة من هذا البيت ، ولكن فيدورا ستقبض عن قريب مبلغا متجمدا لها يكفي لهذا الغرض وزيادة . . .

واني احتفظ مع هذا من هديتك بعشرين روبلا ، وأرد اليك الباقي شاكرة لك شعورك النبل ، ومكررة على سمعك نصحي أن تقتصد في نفقاتك ، والا تبسط يدك كل البسط . . . وكنت أود أن استرسل في الكتابة اليك بهذه المناسبة السعيدة ، لولا ما أشعر به من الضعف الشديد ، فقد لزممت بالامس فراشي ولم أبرحه طول النهار . . . وهانذا اليوم أحس بالتعب ينهك قواي .

لاتنس وعيدك لي بالزيارة ، فانا في الانتظار . . .

برادة

١١ سبتمبر

عزيزتي العزيزة !

استحلفك بالله يا عزيزنى وأضرع اليك وأتوسل ألا تتخلى
الآن عنى ، وقد بدأت المقادير تبتسم لى ٠٠ أم تأبين الالكدر ،
وقد صفا العيش وطاب ما كان خبيثا من مهاد القدر ؟ ٠٠
يمامتى !

لا تعيرى فيدورا سمعك ، وثقى اننى سأكون طوع بنانك ،
وعند أمرك ، ولكن لا تتركينى وحيدا فى الظلام يانور أيامى ٠٠
سأتحرى الاستقامة وسمت اللياقة والكرامة حتى ترضى عنى ٠٠
وستستمر الرسائل بيننا سفيرا أميننا ينقل أفكارنا وخواطرنا ،
ويوثق ما بيننا من صداقة طاهرة ٠٠ ولكنها ستكون منذ اليوم
رسائل صفاء لارسلها أحزان وارزاء ٠٠ وسنكون صديقين
فى السراء كما كنا صديقين فى الضراء ٠٠ أم تأبين على تمام
النعمة ، وتسعين الى تحسرى على أيام المسغبة والفاقة ، لانها
كانت تجمعنا فى عروة وثقى ؟

هل لديك مايكفيك من الخشب ، فالبرد شديد فى المساء ، ولا
تؤمن غدرات هذا الجو المتقلب ، وأخشى أن تصيبك نازلة من
نوازل البرد ٠٠

آه يا فارينكا ! لو تعلمين كم أنتفض فرقا وفزعا لمجرد تفكيرى
فى احتمال مرضك ، انى حرى أن أموت حزنا لو أصابك مكروه
يا فارينكا ٠٠

ولو سمعتنى أصلى يا فارينكا ، لعلمت كيف أدعو لك الله من
كل قلبى وكيف ابتهل اليه أن يقيقك لى ٠٠ والحق اننى لأصلى
الا من أجلك ، ومن أجل سعادة المدير ، بارك الله فى عمره !

وهل عندك جوارب من الصوف ؟ خبرينى الحقيقة ، فصحتك
أثمن شئ فى الوجود ٠٠ ولا تخرجى من التصريح لى بما ينقصك
يا أختاه .

لقد مضت أيام النحس الى غير رجعة . .
 تناولت اليوم خطابك جميعا، فقبلتها ، واحدا واحدا ، لانها
 كانت عزائي الوحيد في أيام تعاستي ونكسي . . فلولاك
 يا يمامتي لقضيت ياسا وأسفا . .
 والآن وداعا يا اختاه ، فقد وصفوا لي كساء جديدا ، أعنى
 انه في حكم الجديد ، واني ذاهب من توى لمشاهدته . .
 صديقك الصادق الولاء
 مقار ديوفشكين

عند صفوا الليالى

١٥ سبتمبر

عزيزى السيد مقار !

انى اليوم فى أقصى حالات الاضطراب والحيرة ، فقد جاءتنى
أبناء تحمل فى طواياها الهول الى فالسيد « بيكوف » و أنت تعلم
تاريخه المشئوم معى - موجود فى بطرسبورج ، وقد لقيته
فيدورا بالامس . فلما رآها وقف عربته ودنا منها ، وسألها عن
مقامها الآن ، ودقق فى تحرى العنوان .

وقد رفضت « فيدورا » أن تعيره العنوان اول الامر ، ولكنه
عرض بى تعريضا ساخرا ، فلم تطق المسكينة صبرا ، و راحت
تمطره فى وسط الشارع وابلان الاتهامات ، وجابهته بما
سببه لى - أنا اليتيمة المهيضة الجناح من الكوارث والاحزان .
وانصرفت فيدورا راجعة الى البيت ، وروت لى ما وقع بينهما ،
فاستخلصنا من كلامه انه لا يعرف مقرنا ، وحمدنا الله على ذلك ..
ولكن ماكدت أخرج ساعة الاصيل الى السوق ، حتى دخل حجرتنا
فقد سأل « أنا فيودوروفنا » وعرف منها العنوان ، ثم عني
بدراسة المنطقة وأحوال سكانها قبل أن يطرق بابى .

وبعد أن قلب بين يديه بعض الملابس التى أحيكها وأطرزها ،
سأل فيدورا بغير مقدمات ذلك السؤال المباغت :
- من هذا الموظف الذى تربطكما به كل هذه الصداقة
المتينة الاسباب ؟

واتفق مرورك فى هذه اللحظة عبر فناء الدار ، فأشارت فيدورا
بسبابتها نحوك ، فالقى عليك نظرة خاطفة ثم ابتسم ! فرجته
فيدورا حينئذ أن ينصرف ، لان الاحزان والاشجان تضنينى ،
وصحتى لا تسمح لى بمثل هذا الموقف العصيب اذا أنا عدت قبل
انصرافه ورأيته فى حجرتى ..

فسكت لحظة ثم قال انه ماجاء لغاية ، بل لمجرد الزيارة ، ثم عرض على فيدورا خمسة وعشرين روبلا ، فرفضت قبولها بطبيعة الحال .

فما معنى هذه الزيارة ؟ وماذا يريد منا ؟ وانى لا عجب كيف تبلغه اخبارنا ، فهو فيما يلوح عليهم بأحوالنا كافة ؟ ..

انى لحائرة واخشى أن يعود الى مثل هذه الزيارة فى حضورى .. وما اشد جزعى لمجرد التفكير فى هذا الامر .. فعندما روت لى فيدورا ما حدث عند عودتى ، انتابنى الذعر ، واوشكت أن يغشى على فزعا !

ماذا يريد بى أولئك الناس بعد الذى أحدثوا فى حياتى من الاضطراب ؟

انى لأريد أن أعرفهم ، ولا أحب أن يذكرنى بهم مذكر ، وإن كان النسيان والسفاه من رابع المستحيالات ! ..

لقد اضطربت أعصابى وأفلت منى زمامها ، وبت أتوهم فى كل لحظة انى ساراه ماثلا أمامى .. ولست أدري ماذا سيحدث لى لو أن هذا وقع فعلا ..

ترى ماذا يخبى لى القدر بعد الذى كان منه فيما سلف من الدهر ؟

أتوسل اليك بحق السماء أن تخف لزيارتى أيها الصديق .. تعال ، فانى أحوج ما أكون الى قربك

بربرة

١٨ سبتمبر

أختى العزيزة !

وقع فى بيتنا اليوم حادث من أعجب الحوادث وأدعاها للحزن والاسى .

أنت تعرفين جورشكوف ، الموظف المفصول ذا العيال ،

الذى مات ولده منذ شهور ، وأعياء أن يقوت من بقى منهم ..
هذا الرجل المظلوم قد أنصفه القضاء أخيرا ، بعد أن استنفد
جهد البشر والملائكة فى مغالبة الجوع .. وحكمت المحكمة له
أمس بتعويض كبير .

ودّهب الرجل اليوم الى المحكمة ليسأل عن نتيجة الحكم ، فزفوا
اليه هذه البشرى ، فعاد الى البيت فى الساعة الثالثة
بوجه شاحب فى بياض الثلج ، وكانت شفتاه تختلجان اختلاجا
لارادة له فيه ، ولاحيلة له فى رده عنهما .. ولكنه مع هذا كان
يبتسم ابتسامة يسهم فيها كيانه كله ، على مابه من اكفهار
وتخاذل . . .

وقبل الرجل زوجته وولديه ، وأسرعنا كلنا الى حجرتهم لنزف
اليه التهنئة الحارة على هذه النعمة الطارئة ، التى أنقذته من العوز ،
وانتشلته من المذلة ومسحت عن جبينه ما كان عالقا به من وصمة
التدليس . .

وسر المسكين بتهنئتنا ، حتى لم يكن يدرى كيف يشكرنا ،
فجعل يحيى باليمين والشمال ، ويشد على يد كل واحد منا
أكثر من مرة واحدة ، لفرط مابه من اضطراب وذ هول ..
وخيل لى أن السعادة التى جاءت على يأس قد أطالت من قامته ،
ومدت من هامته ، فانتصب عوده بعد تظامن .. وبدأ لى أن الدموع
التى كانت تنهل دواما من عينيه قد انقطع مسيلها ..

أما حديثه فكان نشازا لاتلم منه عبارة بعبارة ، وأما حركاته
فكانت نزغات لاضابط لها ولاهدف ، يتناول الشيء لغير داع ،
ثم يلقي به من يده لغير سبب ، ويقوم ويقعد ، ويشكر ويتحسر .
ثم انطلق بفتة يبكى بكاء مرا ، فما بقيت عين فى الحجرة الا ثرفت
دمعها رقة لهذا المسكين .. ولما هم أحد السكان بالتسربة عنه ،
وأخذ يربت على كتفيه مواسيا ، نحى يده عنه بحركة تفيض أنفة ،
لم أكن أعهدا فيه والحق يقال من قبل ..

شد ماتغير الظروف من احوال الناس وخلاتقهم يا اختاه ٠٠
لقد طلبت امرأته من ربة البيت غذاء ممتازا لذلك اليوم
وانصرفنا الى حجراتنا ٠٠ فراح جورشكوف يدخل عند كل واحد
منا بوجهة ، يثرثر في غير محصل ، لمجرد الحركة والكلام ، الى أن
يحين موعد الغداء ، وما كان يدخل حجرة أحد من قبل ٠٠
فلما تم اعداد الطعام ، أقبلت عليه تلك الاسرة التي طال بها
الحرمان اقبالا متوقعا مفهوما ٠ فلما انتهوا منه ، قال الرجل
لامراته :

- أريد أن أستريح الآن قليلا .
ثم استلقى على الفراش ، ونادى اليه ابنته فداعب بأنامله
شعرها الاثيث ، ثم التفت الى امرأته وسألها :
- وبانتيك يا امرأة ، أين هو ؟
فرسمت المرأة على وجهها علامة الصليب وقالت له في ذعر :
- بانتيك مات كما تعلم ٠٠
فابتسم وقال :
- أجل ، أعرف هذا ، فهو الآن في ملكوت السموات !
وأدركت المرأة ان المفاجأة السارة هزت أعصاب الرجل ،
فقالت له :

- أرى لك أن تنام قليلا حتى تستريح أعصابك شيئا ما .
فاستدبرها وسكنت حركته برهة ، ثم التفت اليها ثانية وحرك
شفتيه بشيء لم تتبينه ، فسألته :
- ماذا يا عزيزي ؟

بيد انه لم يجبها ، فاستأنت برهة ، فلما لم يقل شيئا علمت
انه نام ، فقامت لزيارة ربة البيت وقضت معها في الحديث ساعة
قصيرة ، ثم عادت الى حجرتها ، فأدهشها أن تجد زوجها لا يزال
حيث تركته نائما لم يتحرك في رقدته ، فعزت ذلك الى ثقل
النعاس ، وتناولت خيطا فجعلت تغزله نحوا من نصف الساعة ٠٠

تنبّهت بعدها من شرود اعتراها فاستغرقتها وهى تغزل ، فاذا
الرجل على حاله الاول .. وراعها الصمت الثقيل الذى يسود
الغرفة ، فاقتربت من الفراش وكشفت عن زوجها الغطاء ..
فاذا هو قد مات !

شبه ما هضرت قلبى هذه الميتة المباغته .. كأنما كلفته نصقته
أنفاس حياته ، وكأنما حرام على المظلوم المكروب أن يعرف لغير
الغبين والفاقة طعما ..

يابئس للدنيا ! أكذلك يمضى الناس عنها بين غمضة عين
وانتباهاتها ؟ ألا أمان فيها لشيء ، ولا ضمان لديها لأمر ..
هل حقاً يموت الناس هكذا ، بغير مقدمات ، وعلى غير انتظار ؟
انى لحزين ..

مقار ديوفشكين

ثمالة الكاش

٢٣ سبتمبر :

صديقي الأعز :

طال عهدي بعدم الكتابة اليك، فقد حدثت شواغل حالت بيني وبين ما كنت اريده من الحديث اليك على صفحات القرطاس ! فأمس الاول زارنا « بيكوف » ، وكنت وحدي هذه المرة ، لان فيدورا كانت قد خرجت الى السوق .. ففتحت انا الباب حين طرقه ، فما وقع عليه نظري حتى صعقت اولم احر نطقا ولا حراكا ، فدخل وهو يقهقه بالضحك على مألوف عاداته ، وتناول مقعدا فاستوى عليه دون انتظار دعوة مني .. وبقيت انا مسمرة عند الباب برهة ، ثم لذت بركن قصي ، وراء مائدة الحياكة ، وانصرفت الى عملي ، وقد علت الصفرة محياي ! فجعل يتفحصني بنظره ، ولا شك انه وجدني قد تغيرت كثيرا عما عهدني منذ بضع سنين .. ثم اخذ يبادلني حديثا سهلا ، يخالف بين عباراته بالدعابات والضحكات العالية ساعة من الزمن . فلما هم بالانصراف تناول يدي بين يديه ، وقال لي بالحرف الواحد :

- اراني يا بربرة مضطرا الى الاعتراف لك ان « آنا فيدروفا » قريبتك وصديقتي ، امرأة تستحق كل زراية ونكال ..

ثم نعتها نعتا لا استطيع كتابته اليك ، لانه مما تنبو عنه الاسماع .. واستطرد قائلا :

- لقد اودت بشرف ابنة عم لك ، وافسدت حياتك ، وكنت انا في الحاليين ندلا خسيسا .. ولكن هذا قضاء جار على الاكثرين ولست فيه فريدة ..

ثم انطلق يضحك ضحكته المدوية ، واعتذر لي بانه رجل أعمال لا يحسن الكلام ، وان مراده من هذا الحديث ان يبين لي

حسن نواياه ، ويقظة ضميره !
وانتقل من ذلك الى مباغتتى بطلب يدي .. !
- انى رجل موسر ، وارى من واجبى ان ارد عليك بالزواج
اعتبارك وشرفك الذى شاركت فى اهداره ..
وراح يطنب لى فى وصف مزارعه التى بنوى الاخلاص اليها
بعد الزواج ، ليتفرغ للصيد والقنص .. وانجاب ذرية
صالحة تراث اسمه وثروته من بعده .
وعرج بعد ذلك على ما يراه من سوء حالى ، وفاقتى ،
واضحلال صحتى .. وسألنى عن حاجتى من المال ليقضيها
لى ..

وكان هذا العرض المباغت قد هز مشاعرى هزا عنيفا ،
فانطلقت انشجج بالبكاء دون ان أدري لبكائى سببا ، فظن اننى
ابكى شكرا له وعرفانا لجميله الذى يسديه الى بذلك الزواج
فجعل يقول لى باسماء مترفقا :

- لقد كنت فى ظنى على الدوام فتاة كريمة النفس طيبة
القلب مثقفة ذكية ، ولكنى لم اشأ ان اقدم على هذه الخطوة
قبل ان اتثبت من استقامتك ، وحسن مسلكك ، على رغم ما تعانينه
من شدة وضيق ..

ثم شرع يلقي على أسئلة شتى عنك ، فلما اجبته قال :
- انى واثق من صدق قولك ، فقد سألت عن هذا الرجل
فقال لى انه رجل مهذب وذو خلق .. وتأكدت انه احسن
القيام على شأنك وصيانة شرفك ، ولست احب ان يثقل دينه
هذا على عنقى ، فاستخبريه هل تكفى خمسمائة روبل
لتعويضه عما تجشمه فى سبيلك من مشاق ..

فلما قلت له ان خدماتك لى من طراز لا يمكن ان يقدر بمال ،
استشاط غضبا وجعل يتهمنى بالبلاهة والخرق .. !
وانصرف بعد ان اوصانى بالتفكير فيما عرضه على من امر

الزواج ، فهو لا يحب القرارات المبسرة في مثل هذه الشئون الخطيرة .. فاذا راق لي الزواج منه فيها ونعمت ، والا فانه سيكون في حل من الزواج بامرأة من اهل الثراء والتجارة الواسعة في موسكو ..

ودس في يدي قبل انصرافه خمسمائة روبل ، فلما ابيت أن آخذها قال :

— بل خذها لتشتري بها شيئا من الحلوى تسلين بها في سهرك .. وانتظري حتى تتزوجيني ، وسترين حينئذ كيف يصير لك الشحم واللحم بعد الهزال والدوار ..

وقد فكرت يا صديقي في حديثه كثيرا ، حتى انهكنى التفكير ثم انتهيت الى قرار آخر ..

وذلك القرار يا صديقي هو القبول .. وهل امامي غير هذا الطريق اذا اردت استرداد اعتباري ومحو العار عن شرفي .. ؟ انه الرجل الوحيد في هذه الحياة الذي في وسعه ان يرد الى كرامتي العذرية التي اهدرها .. ثم لا تنس ان زواجي به سيقيلني من بوهدة الفقر ، ويؤمن مستقبلي ، ذلك المستقبل الاسود الذي يطل برأسه من ثنايا الحاضر الاغبر ..

وفيدورا تلح علي في القبول .. فهي فرصتي الفذة لانتقاذ شرفي ، وانقاذ صحتي وضمان عيشي كذلك .. وليست مسألة الصحة من الهينات ، فانت يا صديقي تعرف ضعف بنيتي فالعمل ينهكني ، ولا بد لي من العمل كي اعيش كما تعلم .. واذا افلست هذه الفرصة الشريفة — ولا اقول انها مشرفة! — فمن عساه يتقدم لطلب يد فتاة يتيمة فقيرة تنوشها العلة وتفسد نضرتها .. ؟ !

الحق يا صديقي ان الامر لا خيرة لي فيه .. وانما هو

طريق واحد . وقد عولت على سلوك ذلك الطريق ..
واذا كنت لم اطلب اليك الادلاء برايك في هذا الامر ، فذلك
لانى اثرت ان احمل تبعة البت فيه وحدى .. وسأبلغ بيكوف
قرارى هذا منذ اليوم ..

ولست غافلة عن جميع جوانب الموضوع الذى قطعت فيه
براىي .. فانا عالمة تمام العلم انى لا احب بيكوف ، وانه لا
يجبى .. ولكنى مقدره انه يقدرنى ، وقد تبث له المعاشرة
التقدير فى قلبى ، لانه فيما يقال رجل طيب شهم .. وهل اطمع
فى اكثر من مودة وتقدير متبادلين .. ؟ ذلك حسبى يا صديقى
من حظوظ الحياة ..

وانى واثقة من انك ستقدر الموقف حق قدره ، وستنظر اليه
بما عهد فيك من الاشار النبيل .. فلا تحاول اثنائى عن عزمى
فقد تأملت كثيرا لفكرة فراقك ، ولكنى وجدت العقل والحزم فى
جانب القبول ، فاخترت جانب الحزم والعقل ، مطعة الى
نبلك المعهود ..

هاهوذا بيكوف قد حضر ، فاجتزىء الآن بهذا القدر ، لانه
مصر على عقد الزواج فى بضعة ايام ، فأعماله لاتسمح له بالبقاء
هنا طويلا ..

بربارة

٢٢ سبتمبر :

اختنى بربارة .. !

اتعجل الكتابة اليك فور وصول خطابك ، لاقول لك انه
وقع منى موقع الدهشة الشديدة .. فلا شك ان بيكوف قد
سلك المسلك الذى يقتضيه الشرف ، ولكن هل كان ينبغي
ان تقبلى الزواج منه بهذه السرعة ، ولا اقول هذه اللفظة ؟
ولا شك عندى ايضا ان بيكوف يريد بك الخير ، وانه
سيكون رفيقا بك ، وانك ستسعين يا يمامتى وملاكى ،

بما يتهيأ لك من اليسر والرفاهة وخفض العيش ..
ولكن فيم هذه العجلة يا عزيزتى ..؟ الآن مشاغله تقتضيه
التعجيل بالرحيل .. ؟

وان .. ! فليس في العجلة خير ، لأنها من جائل الشيطان
عفوا ..! راسى يموج كخليفة من النحل ، فقد وارينا
جورشكوف التراب صباح اليوم .. ونالنى من ذلك نصب وكمد
شديدان .. فلا ادرى ماذا ارى .. او ماذا اقول لك فى هذا الامر
الخطير ..

وانا يا يمامتى ، ألم تفكرى فيما يصيبنى من فراقك
ورحيلك عنى .. ؟ الست جديرا بجانب من تفكيرك يا اختى
وملاكى ونور أيامى .. ؟
الامر لله ، ولك يا فارينكا .. !

ستتزوجين اذن عما قريب .. وسيلزمك ولا بد ان تشتري
اثوابا وأحذية وجوارب ، وما الى ذلك .. انى اعرف محلا
يبيع أحذية للسيدات فى غاية الرشاقة ، كنت اشتهى أن
أشتري لك منه حذاء .. فأوصيك به يا فارينكا .. انه فى
شارع « جوروخوفايا » العظيم .. الذى رايت فيه ذات ليلة
عربات الاميرات والامراء .. تمنيت أن أراك فى مثل عزهن
السابع .. !

ولكن كلا .. ! هذا محال .. ! محال أن ترحلى عنى هكذا
سريعا وقد أشرقت أنوار اليسر فى حياتى بعد عسر طويل ..
تذكرى على الأقل انه يلزمك شراء كثير وكثير جدا من الاشياء
فلا بد من بعض الوقت تقضيه معا فى تجهيز هذه العروض
وانتقائها ..

وهل تثقين بصدق فراسة فيدورا حين قالت لك انك
ستسعين فى حياتك الجديدة مع هذا الرجل .. ؟

لقد رايتہ خارجا من لدنك ، وهو فيما ارى رجل ذو مهابة .. بل ان مهابته زائدة على الحد اللائق .. هل ستذهبين الليلة الى صلاة العشاء .. ؟ ساذهب انا على امل رؤيتك هناك ، فارجوك ان تذهبي انت ايضا .. لقد صدق بيكوف حين قال انك فتاة طاهرة ذكية الفؤاد سرية النفس راجحة العقل .. ولكنى ارى انه كان خيرا له لو تزوج صاحبته الثرية ذات التجارة الواسعة في موسكو ، فهي اقرب الى موافقته .. سانتهاز فرصة الظلام لازورك ساعة قصيرة ، فلا بد لى من حديث معك يا اختاه .. فانتظرى قدومى ..

مقار ديوفشكين

٢٧ سبتمبر :

صديقى العزيز ..

يصر بيكوف على ان ازود بستة وثلاثين قميصا من الحرير الهولندى ، لا تنقص قميصا ! فينبغى ان اتبحث لى عن قطعتين من ذلك الحرير ، تصلح كل قطعة منها لاثني عشر قميصا اخرى غير تلك التى اشتريتها امس .. وارجوك ان تسرع فى الحصول عليها ، لان الوقت قد ازف .. ! فسيتم الزفاف بعد خمسة ايام ، وسنرحل فى اليوم التالى ..

والحق ان هذه العجلة قد اضنتنى ، حتى لا وشك ان اسقط اعياء ، لولا ما امامى من الاعمال الكثيرة .. وتراودنى نفسى على الرجوع فى الزواج ، وبهذه المناسبة تنقصنى كمية من المخرمات (الدانتلا) للمالبسى الداخلية ، فلا تنس ان تشتري جانباً منها مع الحرير الهولندى

اشعر بالبرد فى هذا المسكن الجديد ، واما عمه بيكوف المعجوز فامراة لا تطاق ، وكل شىء هنا مختل النظام ، والخدم على

كثرتهم مهملون ، وكثيرا ما يتغيبون دفعة واحدة ، فتضطر
« فيدورا » الى القيام على خدمتنا بمفردها .. ولهذا
يحيرنى كيف ابعث اليك بهذه السطور ، واحسب البريد خير
وسيلة فى الامكان ..

كدت انسى اهم ما فى الخطاب ... مر بمحل الطرزى ، واوصه
ان يجعل الطرز نقشا بارزا فى جميع القمصان ، لان بيكوف
يصر على ان تكون ملابسى ابهى واغلى ما تلبسه السيدات فى
الناحية بأسرها ..

لا تنس شيئا من هذه التوصيات يا صديقى ، وارجو الا
تضيق بكثرة المهام التى استأديك اياها كل يوم .. فما حيلتى ؟
الوقت ضيق ، ولا بد من اتمام الجهاز فى بضعة ايام ، وكلما
ظننت اننى انتهيت ، تذكرت اشياء كنت قد غفلت عنها ..
متاعب جمّة ، واما العاقبة فعلمها عند الله ، ولا احاول
استكناها من بين استار الغيب .. فليكن يا صاحبنى ما يكون .

بريارة

ثم ماذا

٢٧ سبتمبر

عزيزتى السيدة بربرة !

لقد قمت بجميع ما أمرتنى به بكل دقة وأمانة . . . وقد فوت هذا على موعد الديوان ، ولكن لا بأس ، مادام فى ذلك راحة لك من بعض ما يشغل بالك فى هذه الايام الحافلة بالمهام .
وثقى انى على تمام الاستعداد للقيام بكل ما تطلبين ، فلا تتخرجى من تكليفى بشئ ، ولواقضانى أن أذرع المدينة من أقصاها الى أقصاها .

تقولين انك تتوجسين من المستقبل ، ولا تحاولين معرفة ما يخبىء لك . . . ونصيحتى اليك ألا تدعى التشاؤم ينفذ الى قلبك، واطمئنى الى أن الله سيهين لك كل خير فى حياتك الجديدة ، فلا تقلقى .

كم أود أن أزورك فى مسكنك الجديد . بل انى حاولت ذلك مرارا ، وبلغت فى مرتين منهما بالامس باب دارك ، ولكنى رددت نفسى عن الدخول فى آخر لحظة . . . لأن هذا السيد بيكوف يبدو لى خشن الملمس !

مقار ديوفشكين

٢٨ سبتمبر

عزيزى السيد مقار !

أرجوك أن تذهب الى محل الجوهري ، وقل له اننى عدلت عن صنع القرط المرصع بالياقوت واللؤلؤ ، فالسيد بيكوف يراه غالى الثمن وأعلى قيمة وأكثر بذخا مما ينبغى لنا .
ولو رأيت غضبته امس لهذا السرف الذى يرمىنى به ، فقد اتهمنى جهرة بالتآمر على افلاسه . . .

ثم اثنتى بعد ذلك يلوم نفسه على التورط فى هذا الزواج ، غير مقدر أنه فتح لماله بالوعة لا تعرف الشبع . . .

وقد حفزه هذا الغضب على الغاء كل ما كنا قد قررناه لحفلة الزفاف . فلن يدعو أحدا ، ولن يقيم مأدبة ولا حفلا راقصا ، وما هو الا أن يعقد العقد ، حتى نرحل من فورنا الى الريف .
هكذا يا صاحبي بات بيكوف يخاطبني خطاب السيد الامر الناهي ، ولا حول لي معه ولا طول .
ولعله نسي اننى لم اطلب شيئا من هذا الجهاز المترف ، ولم اقترح حفلا راقصا ولا مأدبة عشاء ، فما أزهدينى فى ذلك كله . .
وانه هو الذى اقترح ، وهو الذى استرد ما منح . .
ولكننى لا أجسر على تذكيره أو مراجعته اذا غضب ، فهو رجل عنيف .

ترى كيف ستكون حياتى معه ؟

بربارة

٢٨ سبتمبر :

يمامتى بربارة !

لقد ابغيت الجوهرى ما طلبت لى أن أسوقه اليه من القول .
وأما أنا يا يمامتى فمريض لا قدرة لى منذ عدت الى البيت على مغادرة الفراش . وشد ما يسوؤنى هذا يا أختاه أن ألزم فراشى فى أشد أوقاتك حاجة الى خدماتى .

منذ الذى يقضى لك حوائجك وأنا طريح الفراش ؟
أشعر بثقل فى أطرافى ، وتصلب فى أوصالى وأصلايى ،
وتداع فى قوتى ، وما اظنه الا بردا خبيثا مما يلم بى أحيانا .
كنت أود أن أسترسل فى الكتابة ، ولكننى لا أستطيع . .
مقار ديوفشكين

٢٩ سبتمبر :

بربارة ، يا صديقتى العزيزة .
لقيت اليوم فيدورا ، وعلمت منها ان زواجك سيعقد غدا ،
وانك سترحلين بعد غد مع بيكوف ، وانه قد أعد العدة منذ اليوم

لتلك الرحلة ، فاشترى جيادا قوية وعربة فاخرة .
وقد راجعت « فواتير » المشتريات ، فوجدتها صحيحة ، ولكنها
باهظة الارقام . ان هذا لا يبرر غضب بيكوف الذى صبه على
رأسك . فما ذنبك انت وهو الذى أصر على شراء كل هذه
الكماليات ؟

وفكك الله يا يمامتى ، وكتب لك السعادة .
وكنت أود الذهاب الى الكنيسة لحضور العقد ، لولا أن آلام
المفاصل تقعد بى عن الحركة . .

وسررنى كثيرا ما علمته من فيدورا عن سخائك وبرك بها ، فهى
تستحق كل خير ، وسيجزيك الله عن هذا البر الكريم خير الجزاء
فى النفس أشياء كثيرة لا أدرى كيف أسوقها اليك . وأولها
هذه الرسائل التى عشنا بها ، وسأعيش أنا بها على الدوام . .
من سيتولى أمر نقلها فيما بيننا وقد بعدت بك الدار وشط المزار؟
عندى كتاب من كتبك ، أتوسل اليك ألا تسترده . . وما
بى من شوق الى القراءة كما تعلمين . . ولكن الشتاء يقترب ،
وليالى هذا الشتاء ستكون طويلة موحشة ثقيلة الوقع على نفسى ،
وأنا أنظر من نافذتى فلا أرى النور يشرق لى من نافذتك . .
أقصد ان هذا الكتاب قد يذهب عنى بعض ما سأجده من السأم
فى ليالى الشتاء المقبل . .

أتدريين يا اختاه اننى فكرت فى حل بديع لمسألة سكنى ؟
سأحل محللك وأشاطر فيدورا ذلك الطابق ، وسأجعل مقامى
فى غرفتك ، ولن أبدل من حالها شيئا . . فقلبنى لا يطاوعنى على
ترك فيدورا المسكينة فريسة للوحدة بعد رحيلك . .
لقد دخلت حجرتك السابقة أمس ، فرأيت كل شئ كما
تركته : قطعا من القماش متناثرة فى كل مكان ، وآلة الحياكة فى
موضعها ، وسريرك الصغير يا يمامتى خلف الستار . .
وورقة فيها سطر واحد :

ثم ماذا . . ؟

عزيزى مقار ديوفشكين . .
وليس فيها غير ذلك السطر شئ . . وأحسب طارثا أزعجك
عن اتمام ذلك الخطاب . .
وداعا يا يمامتى ، ولا تبطنى فى الرد على خطابى ، لأن
الانتظار أليم

مقار ديوفشكين

الصرخة الأخيرة

٢٠ سبتمبر :

صديقي العظيم .. !

قضى الله ولا راد لقضائه ، ونفذ السهم وسبق السيف
العذل .. ! ذلك يا صاحبي كل ما اعرفه من امرى ، اما ما
سيكون ، فانا مفوضة امرى فيه الله ، وهو ولي نعم النصر .
سنرحل غدا يا صاحبي ، فهذا وداعى الاخير اليك يا خير
البشر نفسا واذكاهم قلبا . . . ويا من اذا عددت نعمك على ،
وأباديك لا احصيها .. فقد كنت ابنى وقد يتمنى الدهر ..
وكنت ابنى وقد سلبنى القدر عطف الام ..

واستحلفك بالله الا تحزن لفراقى ، وانشد راحة بدنك وقلبك
ما استطعت ، ولكن لا تنسنى ايها الصديق الكريم ..
اما انت يا صاحبي فستكون شغلى الشاغل ، ادعوك الله
اذا صليت ، واذكر بالخير عهدا كان اشأم العهود لولا عطفك
وبرك ..

وانى موقنة يا مقار ان ما من انسان اجبنى فى هذه الدنيا
هواك .. فقد رايتك تكثر لايسر همومى ، ولا ترى النور
الا فى ابتسامة شفتى ووميض عينى .. وكانت عبارة واحدة
اكتبها اليك تنسيك هموم الحياة ، وتملا بالغبطة جوانحك المطوية
على النبل وحب الخير ..

ترى كيف ستكون ايامك يا صديقي الكريم من بعدى ؟ من
سيسال عن حالك اذا أصبحت او أمسيت .. ؟
لقد تركت جميع رسائلك فى خوان فيدورا . . فخذها ،
واحتفظ بكل ماتجده فى غرفتى . . ولا سيما الخطاب الذى
بداته اليك ولم اتمه . احتفظ به يا صديقي ، لتتمه بعين خيالك
كلما ذكرت ماضى ايامنا التى اصطلحت عليها الاحزان فلم
تطفىء نور جنبنا الطاهر ..

الصرخة الأخيرة ..

وداعا ابديا يا صديقى .. ! لقد وددت ان اراك قبل رحيلى ،
وان اقبلك ايها الاب والاخ والصديق ..
الا ما اكاب ساعة الوداع ايها الحبيب .. وما اثقلها على
روحي المروعة لفراقك ..
هاهوذا بيكوف ينادينى .. فمعذرة ووداعا .. !
صديقتك الباقية على حبك
برادة

٣٠ سبتمبر :

فارينكا .. ! اختى ويمامتى فارينكا .. !
اخذك منى يا يمامتى ، ومضوا بك الى حيث لا اراك ،
ولا يبلغ بى الركاب .. فليتهم نزعوا حشاشة روى قبل ان
ينزعوك منى هذا الانتزاع الوجيع .. ولكنهم تركوا روى
للغذاب ، ومضوا بك يا حبيبتى الى حيث لا اقدر انا ان امضى
لقد رايت آثار الدموع على خطابك يا ملاكى .. فانت اذن
تبتكين .. انت اذن شقية بهذا السفر البعيد ، فلماذا اذن
رحلت يا ملاكى .. ؟

لقد بكيت يا حبيبتى جزعا لفراقى ، واشفاقا على قلبى
المدنف ، فانت اذن تحبيننى يا فارينكا .. فكيف اذن تعيشين
مع من لا تحبين .. ومن تحبين يقاسى احوال البعاد .. !
سيشقى قلبك الطاهر الغض بهذه الحياة التى تتخمرها اغذية
الجسد ، وتنقصها انسام الروح ، وليس بالخبز وحده يحيا
الانسان ..

سياكل السام فؤادك ، وتضيق نفسك بهذه الوحشة ، ولن
تجدى فى ذلك الفقر الروحى الا الهم والكمد ..
لماذا اخترت ذلك الطريق ايتها اليمامة .. ؟ لماذا ارتضيت
الوقوع فى مخالب الصقر .. ؟ لماذا آثرت القبول فجئيت على

الصرخة الأخيرة ..

قلبك الجناية التى ليس مثلها جناية .. فانه لن ينتظرك فى ذلك المكان الموحش مصرى سوى القبر البارد المظلم ، ولن تجدى هناك من يبكى شبابك الغض ، لان بيكوف لديه من شواغل المال والصيد ما يشغله عن الحب والبكاء ..

سحقا لى وتغسا ... ! ما كان اغبانى واعمانى .. ! لماذا لم احل دون هذا الزواج المشئوم .. ؟ كان ينبغى ان اقاومه بكل قواى .. ولكن سبق السيف العذل كما قلت .. ونفذ السهم وقضى الله ولا راد لقضائه ..

كلا .. ! بل يجب ان ارد ذلك القضاء ، غدا سأقوم من فراشى مهما كانت الحال ، وسألقى بنفسى تحت عجلات العربى كى أحول دون رحيلك الى ذلك البلد النازح ..

سأجرى وراء العربى ، سأعدو خلفها طول الطريق اذا ابيت ان تأخذينى معك الى هناك .. وسأظل أجرى حتى تفارق روحى جسدى ..

الى من يا حياتى سأكتب بعد اليوم رسائل اشواقى وخواطرى اذا جن الليل واجتوانى الصديق ..؟!

من سأنادىها اذا حزبنى الامر « يا اختاه » فتطمئن روحى ، وتبتدد وحشتى ، وبطيب لى الرقاد .. ؟
انت قاتلتى يا فارينكا بهذا الفراق ولا ريب ! فلن يصمد قلبى لهذا البلاء المبرح ، وقد كنت عاصمه قبل اليوم من القنوط والموت ..

من أجلك يا يمامتى كنت أحياء .. فلماذا أعيش الآن .. ؟
وقد كنت لى الابنة والاخت والام الرؤوم ..

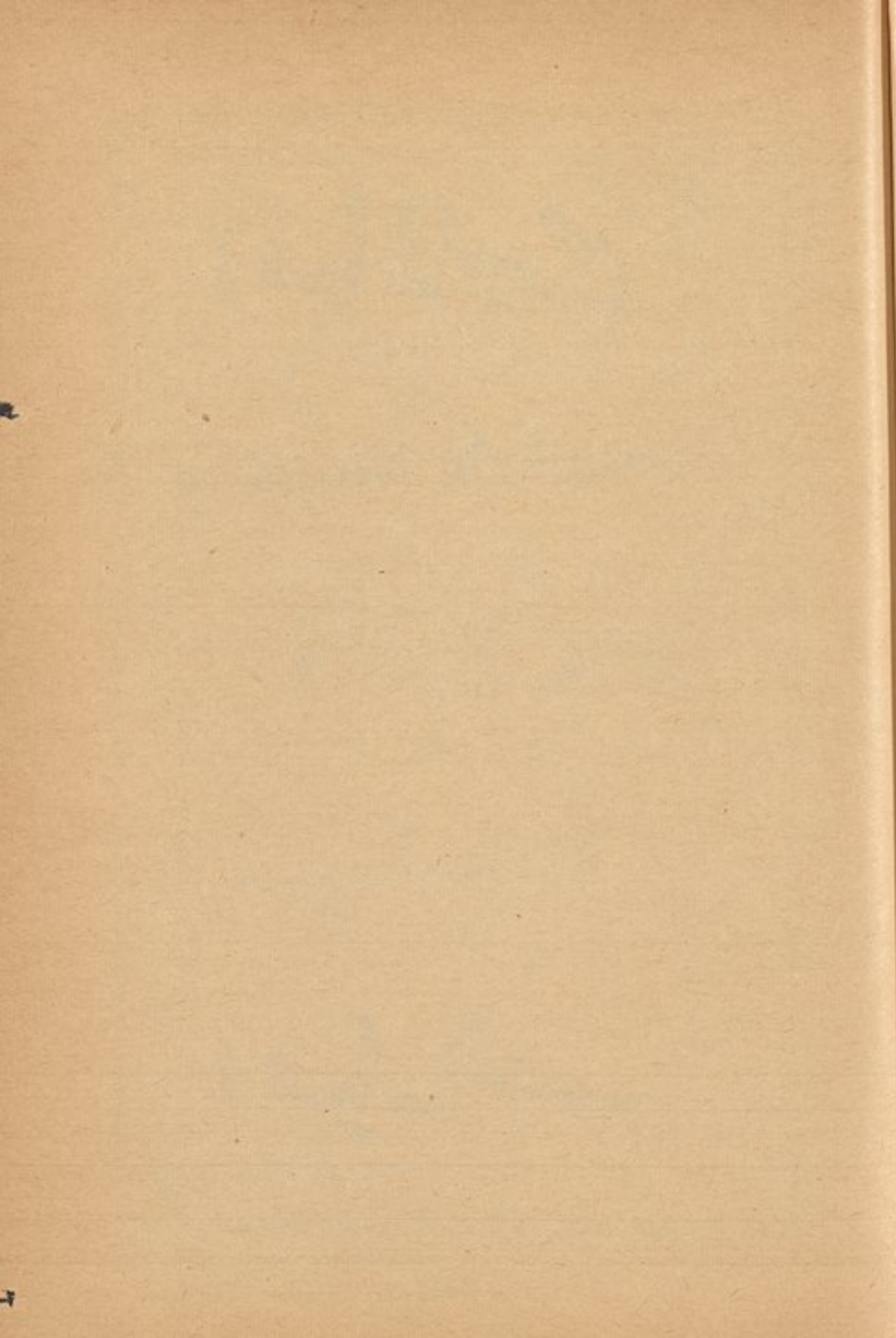
لا تسافرى يا فارينكا ، فالرحلة شاقة ، وصحتك معتله ، والطقس ردىء .. هاهوذا المطربنهمر ، فايالك ان ترحلى فى هذا البرد الشديد ..

رياه .. ! لماذا لم يتزوج بيكوف صاحبه الثرية في موسكو
فتركك لى .. فانا ليس لى في الدنيا سواك .. انت نور اباى
فاذا ذهب النور فكيف ابصر الطريق ، وكيف استطع ان
اعيش .. ؟

امصرة انت على الرجل مع هذا السيد بيكوف .. ؟
وا اسفاه .. !

اكتبى لى خطابا آخر يا قارينكا ، خطابا واحدا فقط ..
رياه .. ! كيف اصدق ان خطابها هذا هو الخطاب الاخير ،
وان يوما سيمر بى دون ان ارى روحها مسطورة امامى على
صفحات القرطاس .. ؟

اهكذا انتهى كل شىء يا يمامتى وابنتى واختى وملاكى ؟ !
الا ما اهن الحياة ...



أخبار اليوم

الجزيدة الأولى

في الشرق

نقرأ فيها دائماً

أخبار الفد

أكبر
واحدث
مصانع
للصبغة
والطباعة
في الشرف

شركة صبغة البضا
شركة مساهمة مصرية

ورشة
الكليسيات
بدار
أخبار اليوم

أصرت ورشة في الشرق الأوسط

لأعمال التجارية

اتصلوا بالمدير تليفون :

٧٧٧٧٧

الجيل الجديد

قصر عن دار أخبار اليوم
سياسة . فن . رياضة
أخبار العالم وأخبار مصر

لثمن ٢٠ مليمًا

قصر يوم الاثنين من كل أسبوع

ورشة
الكليسيات

بدار
أخبار اليوم

أحدث ورشة في الشرق الأوسط

لأعمال التجارية

اتصلوا بالمدير تليفون :

٧٧٧٧٧

كل صباح



تطبعها الأعظم وأسرع
طبعة في الشرق

وتصدرها دار أخبار اليوم

أخبار اليوم

الجمهورية الأولى
في الشرق
نقرأ فيها دائماً

أهم الأخبار

— (كتاب اليوم) —

صاحبه

مصطفى امين وعلى امين

رئيس التحرير

عبد العزيز عبد العليم

كتاب شهري

يصدر عن

دار اخبار اليوم

الإدارة والتحرير

والاعلانات والتوزيع :

شارع الصحافة

المراسلات :

صندوق بوسطة رقم ١٠

تليفون ٧٧٧٧٧

عشرة خطوط

الاشتراكات

في مصر والسودان ١٠٠ قرش

بريد عادي و ١٢٠ قرشا بريد

مستعجل - في البلاد العربية

والبلاد الداخلة في اتفاقية البريد

٢٥٠ قرشا بالبريد المسجل أو

٣ جنيهات استرليني وواحد

شان و ٦٥٠ ينس - في البلاد

الخارجة عن اتفاقية البريد ٤٥٠

أو ٢٥ دولارا بالبريد المسجل

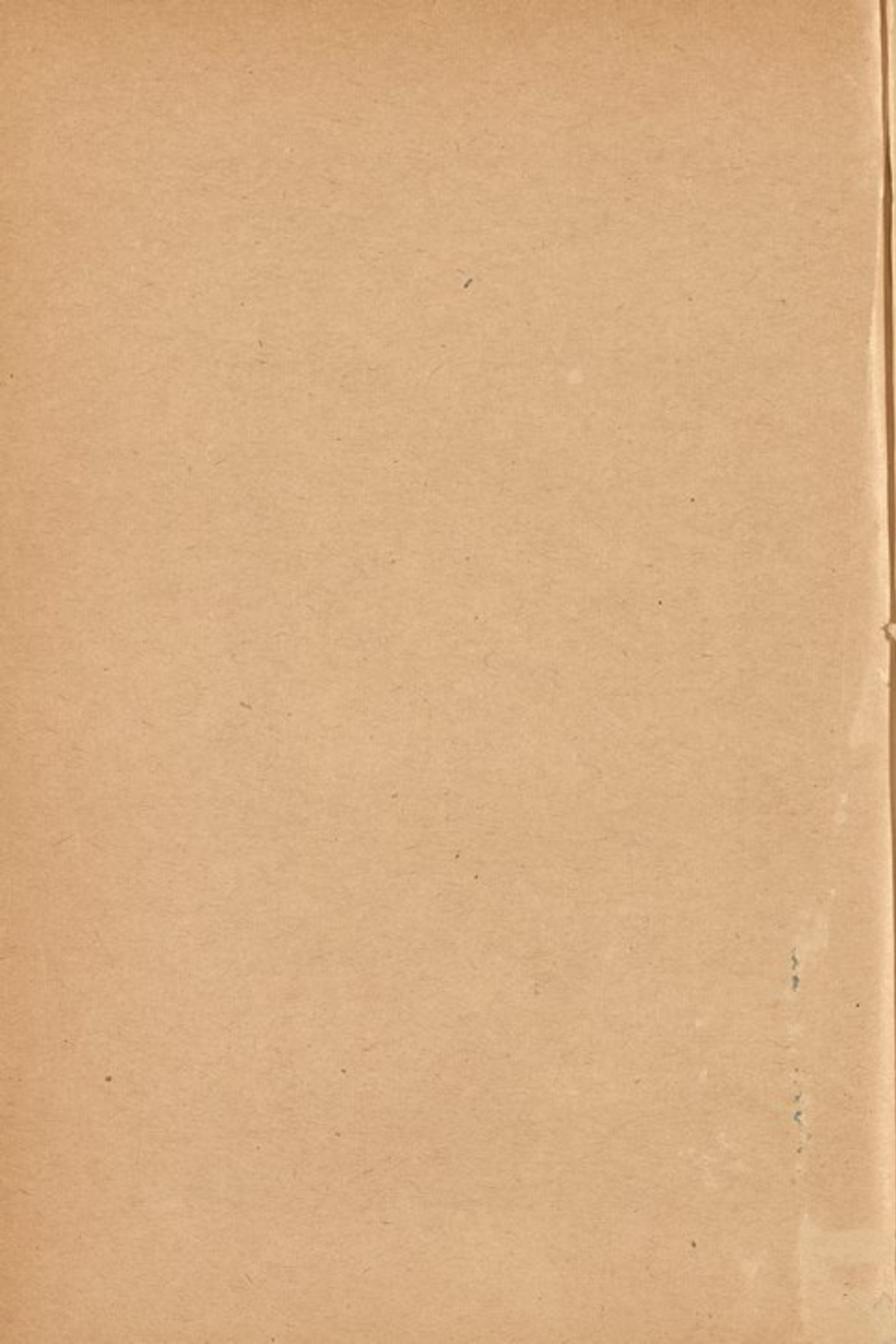
كتاب اليوم الجديد

٣ سبتمبر

المرأة الجديدة

للكاتب الكبير

الاستاذ توفيق الحكيم بك



مصانع الحلويات والبسكويت واللبان



نوفل

بالاسكندرية

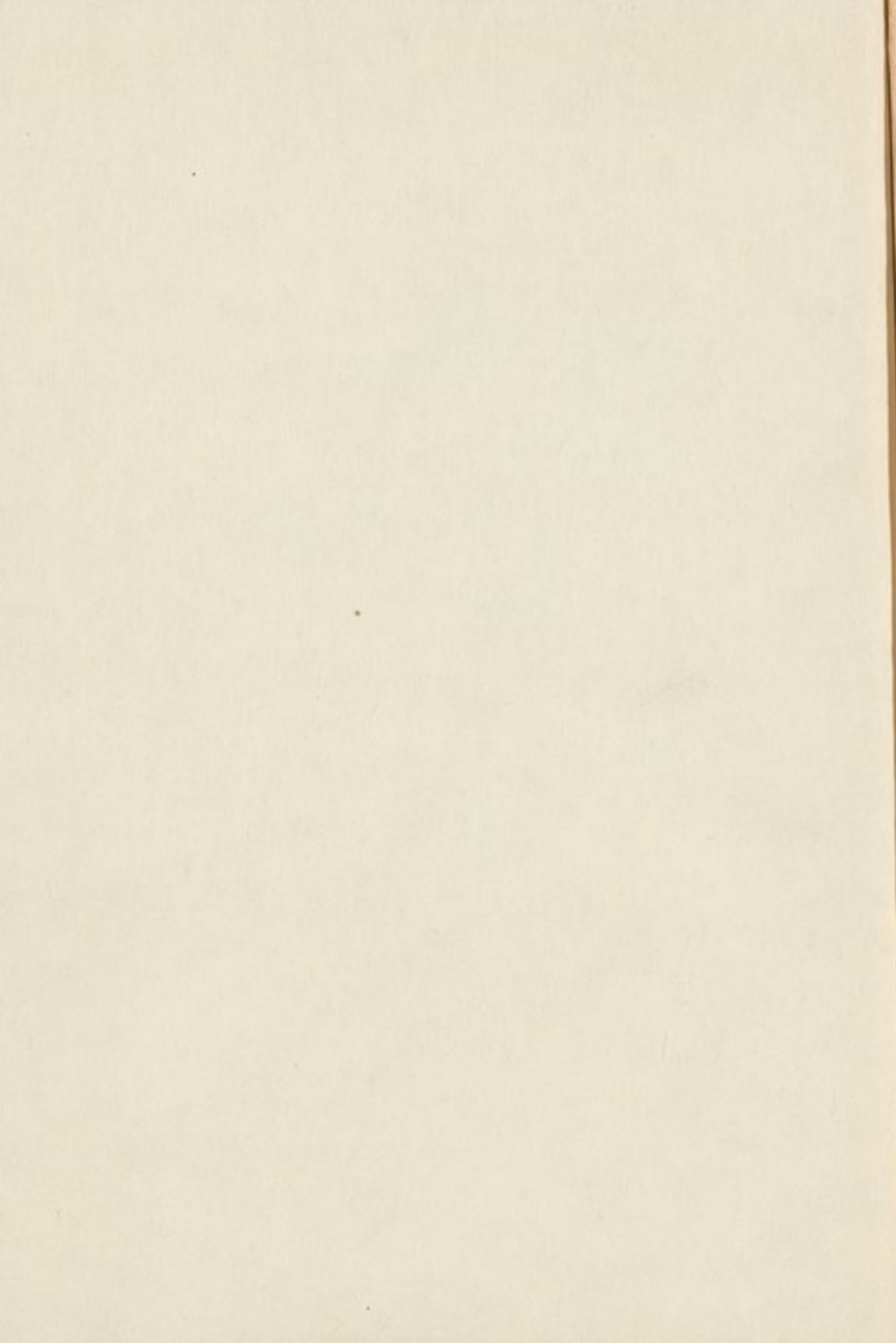
لبان . بسكويت . طوفي وملبان بمختلف انواعها
الكرملين بجميع اصنافها وانواعها العالمية
تصنع كلها في مصانع نوفل من طين وقطع
وقطيف بأحدث الآلات الأوتوماتيكية

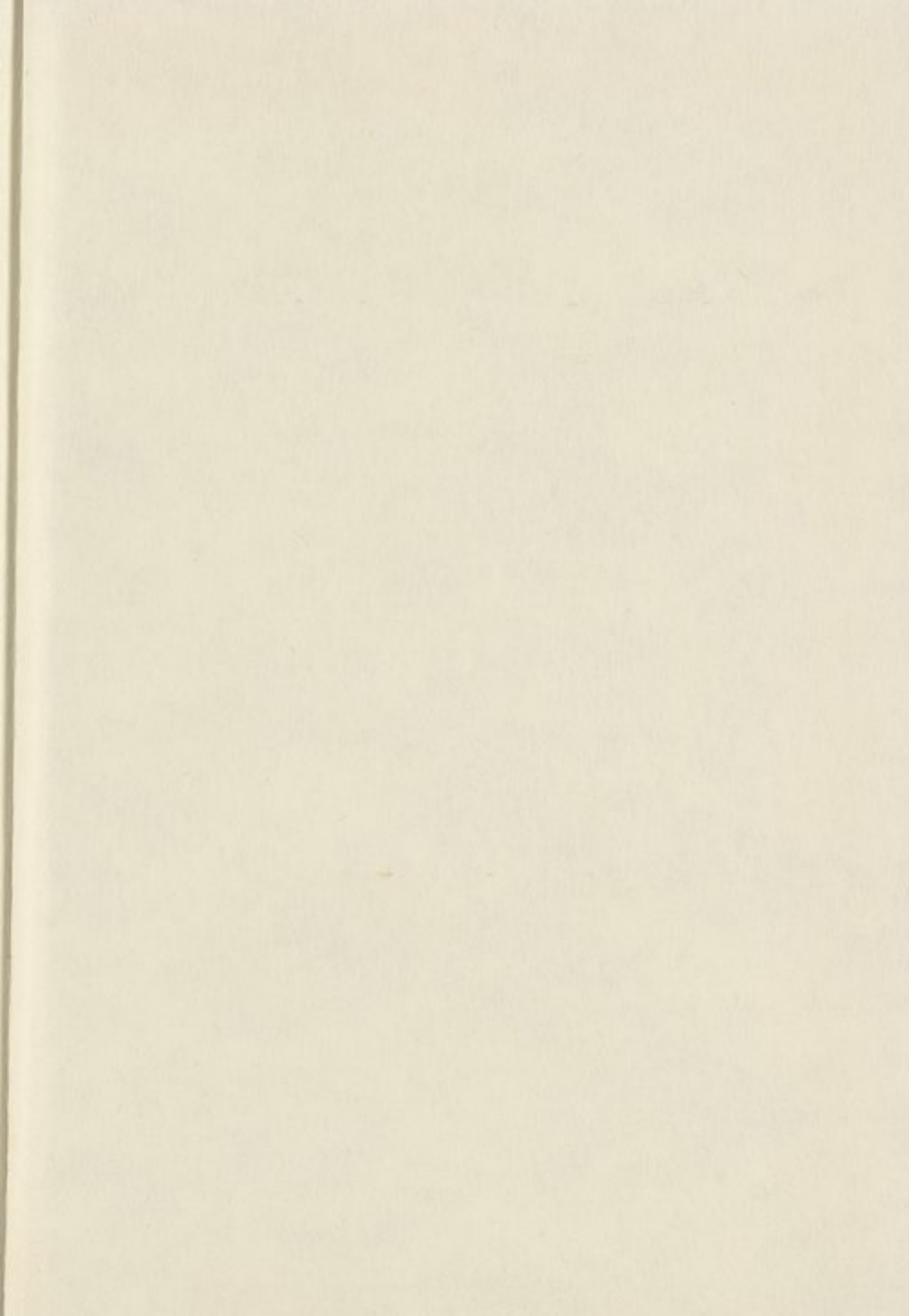
تأسست المصانع سنة ١٩١٩

فكانت بداية ثورة أخرى منبعثة من الثورة الوطنية الكبرى

ثورة في ميدان الإنتاج الصناعي عم فيها البلاد

مطابع دار أخبار اليوم







Princeton University Library



32101 075912244